

أمال طهراوي

# وضوحك غامض

رواية

الطبعة الأولى - 2016

إسم الكتاب : وضوحك غامض

تأليف : أمال طهراوي

تصميم الغلاف : حمزة مسعودي

رقم الايداع : 2016M02250

الترقيم الدولي : -1-857-37-9954-978



توزيع و نشر : مؤسسة واعي

العنوان : فضاء تكوين و تنشيط النسيج الجمعي ، ص ب رقم 136 وجدة – المملكة المغربية

رقم الهاتف : +212606215278

البريد الإلكتروني : [foundation.wa3y@gmail.com](mailto:foundation.wa3y@gmail.com)

الموقع الإلكتروني : [www.waay.ma](http://www.waay.ma)

جميع الحقوق محفوظة و أي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة  
كانت ورقية أو إلكترونية أو بأي وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي  
من الناشر يعرض صاحبه للمسائلة القانونية .

الطبعة الأولى – 2016 – المملكة المغربية

# إهداء

إلى كل من آمن بي و دعمني لتصبح كلماتي المتبعثرة متماسكة،  
إلى أصدقائي الذين أيقظوني من حلمي .. لمساعدتي على تحقيقه،  
إلى أستاذة اللغة العربية التي أقسمت أنني لن أستطيع تكوين جملة مفيدة  
يوماً ما،

إلى أسرتي الأولى،

و إلى أسرتي الثانية مؤسسة و عي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أستقل نفس القطار منذ سنوات ، أجلس في نفس المكان ،  
و أتوجه إلى نفس الواجهة ، لكن الأمر مختلف هذه المرة ،  
أشعر و كأن وجهتي هذه المرة تغيرت ، و كأن شيئاً تغير في  
صوت حركة القطار ، و كأن المقاعد أيضاً تغيرت ، رغم  
أنني أعلم أنني في بلد لا يغير شيئاً إلا عندما يحرق أو يتلف  
بشكل كلي ، و قد لا يغيره بل يكتفي بترميمه فقط ، حاله حال  
الاسواق التي تحرق بين الحين و الآخر ، حتى أصبح هذا  
الموضوع شيئاً عادياً جداً يزورنا من موسم الى اخر ، لكن  
الأمر مختلف هذه المرة ، كأنني لا أذكر كيف كنت أسافر  
دون أن أحس بنفس الشعور ، يحدث ان يتغير شعورنا  
لدرجة أننا نشك أن كل شيء من حولنا تغير ؟ ها أنا اجلس  
قراية نفس النافذة التي كنت أجلس إليها طوال هذه السنوات ،  
هذه النافذة التي كنت استند إليها كأنني احكي لها قصصي ، و  
كانت أفضل مستمع حظيت به ، لا أعلم لماذا كلما سعدت  
القطار رحلت أفتش عن هذه النافذة بالذات ، نافذة تشاركني  
نظرتي للحياة.

عند تحرك القطار ببطئ في البداية كنت ألحظ دوماً أناساً  
يقفون على الرصيف يلوحون ، بعضهم يبكي و البعض  
الأخر يضحك ، و آخرون يلوحون دون سبب ، فأتخيل انهم  
يلوحون لي ، انا رجل ينتظره الكثير لكن لا يجيء ليودعه

احد.

في كل مرة كنت أرى فيها فيلما فيه لقطات حيث أن الناس يجتمعون لتوديع الجنود الذين هم في طريقهم لأداء الخدمة العسكرية كنت أبتسم ! فأنا ضابط يفتقد لوداع على الرصيف.

تنتظرنى رحلة طويلة و أخاف أن يشرد بي ذهني إلى ذكريات كنت أظن انني نسيتها ، في كل مرة أسافر فيها في القطار تسافر بي الذاكرة إلى آلاف الذكريات ، أحيانا أبتسم و أحيانا أحزن و أحيانا أخرى كنت أسند رأسي إلى النافذة لأرى انعكاس دموعي التي لم تنزل من الاساس ، و أصعب بكاء هو البكاء دون دموع.

عند انطلاق القطار تذكرت ذلك اليوم ، أول يوم شاهدتك فيه ، كنت تقفين هناك في مدخل هذه المقطورة .. تبحثين بعينيك عن مكان للجلوس ، لم تكوني أجمل فتاة رأيتها ، لكن فيك شيء مختلف جعل كياني يهتز ، حجابك الموضوع بطريقة عشوائية و بقايا الكحل في عينيك . و لباسك الخجول البسيط ! و الأكثر من هذا العطر الذي كنت تضعينه .. أذكر يوما انني سألتك عن اسم ذلك العطر فأجبت انك لا تعرفين اسمه .. بل تستمتعين بوضعه فقط

تفاصيلك أخذتني بعيدا عن هنا ، حتى أنتشلتني صوتك من بين أفكارى ، داهمتني قائلة

- أیخص أحدا هذا المقعد ؟ .. سيدي!

- لا ! إنه فارغ!

صوتك طرق باب قلبي ، ففتح المجنون بابه أذكر جيدا تلك الابتسامة التي إرتسمت على وجهك عندما علمت ان المقعد خالٍ ، كطفلة وجدت مكانا لها في مدينة الملاهي ، كأن ابتسامتك خلقت لتجعل الناس يتفائلون ، وضعت كيسك على المقعد ، ثم وقفت و أنت تحاولين رفع الحقيبة لوضعها في المكان المخصص لها ، كنت تحاولين جاهدة ، و كم أحببت إصرارك كنت أنتظر منك أن تطلبي مني المساعدة إلا أنك لم تفعلي ، فوقفت مسرعا نحوك، أمسكت الحقيبة فخانتك سرعتك لأنني لامست أطراف أصابعك ، و أحسست أن الدم يضخ إلى كل أطراف جسدي بشكل رهيب ، تلاقى عينانا و كنت قريبا من رائحتك و من عبيرها ، أشحت بنظرك بعيدا و أنت تشكريني ، إلا أنني إكتفيت بالإبتسام دون أن أجيبك...

عدت أدراجي و أنا أحمل معي نسمة رائحتك ، جلست و أنا أنظر إليك ثم فجأة رأيت أحلامي تتحطم عندما وقف شاب أمام نافذتك و هو يودعك و يشير بيده إلى الهاتف كأنه يريد أن يطمئن عليك عند وصولك ، لا أعلم لما غرت عليك أنت التي لا أعرف عنك شيئا سوى أنك تسافرين معي على نفس القطار ، كانت نار الغيرة تحرقني و أنا أتابعك و أنت

تبتسمين له و تلوحين بيديك الناعمتين اللتين لامستهما منذ قليل ..

ارتسمت على وجهك إبتسامة خفيفة ، بادلتك الإبتسامة و أشحت بنظري بعيدا كأنني أعاتبك على ما صدر منك منذ قليل ، و كأنه يحق لي أن أعاتبك ، وضعت ساقا فوق الأخرى برقة ثم وضعتي سماعة الهاتف و بدأت بتحرك قدمك كطفلة ، و أحسست كأن العالم يتراقص مع قدمك ، كنت أسرة في صمتك ، كنت أتابعك بفضول و لهفة ، مرت ساعة ثم أحسست أنك تحسین بالملل ، لم أكن أعرف بعد أنك فتاة لا تقدر على الصمت ، لا تقدر أن تجلس دون أن تفتح محادثات ، فجأة ذهلت بك و أنت تندهين على الطفل الذي كان يجلس بجانبني ، كأنك طفلة تدرس معه بالصفوف الإبتدائية ، نظر الطفل إلى أبيه كأنه يستأذنه ، و إبتسم الأب و هز رأسه بالموافقة ، تقدم الطفل نحوك بخطى خجولة ، إستقبلته فاتحة يديك و أنت تطبعين قبلة على خذه ، في لحظة جنون تمنيت لو أنني مكانه:

- ما أسمك صديقي ؟

- آدم!

- الله ! أتعلم كم إسمك جميل ، لكنك أجمل



صدمني سماع إسم الطفل حقا ، لأنه الإسم الاقرب إلى قلب أمي ، كانت دوما تخبرني أنها تتمنى أن أسمى طفلي الاول "آدم" ، تمنيت لو أن الطفل سألك عن إسمك أيضا ، لكنه لم يفعل ، و تحفظت أنتِ عن قول إسمك كأنك إستشعرت فضولي و مراقبتي لك ... إلتصقتِ بالنافذة جاعلة مكانا للطفل ليجلس ، كان يمكنك ان تجلسيه فوق ركبتيك ، إلا أنك حاولت أن تجعله يحس براحة أكبر ، تناولت هاتفك و من الواضح أنك كنت تبحثين عن لعبة ليلعبها ، بدأ اللعب و بدأت ترسم على وجهك ملامح لم ألحظ مثلها من قبل ، كنت تضحكين و تُضحِكِيه بشكل عجيب ، كنت تقتربين منه حتى تسمعينه جيدا ، و كنت أنا أغوص في دوامة صغيرة ، غرت من طفل لا يتجاوز عمره السادسة ، كنت تقصين عليه قصصا لم أسمع بها من قبل من الواضح أنها كانت من نسج خيالك ، قصص كان هو البطل فيها ، تذكرين إسمه في كل عنوان لقصة ، و كان مستمتعا جدا . أخرجت هاتفني لأرسل بعض الرسائل النصية ، فداهمني الوقت ، و عندما رفعت رأسي وجدتك تجلسين بجانبه و أنتِ تحضنيه و هو يغطُّ في نوم عميق ، كان شكلكما يخطف الانفاس ، وقفتِ و أخرجتِ من حقيبتك غطاءً خفيفا و وضعته على جسد الطفل! ..

وقفت لتتركي له المكان ليرتاح أكثر ، كنتِ كأم حريصة على ابنها ، بل كنت اجمل أم رأيتها .. ناداك الاب و طلب منك

الجلوس مكان طفله الذي أخذ مكانك ، جنّت بخطىً بطيئةً  
 اهتزت لها مشاعري ، كنتي كأميرة اسطورية ، كنت فاتنة  
 لبساطتك ، يخيفني الخليط الذي تتكونين منه ، شابة فاتنة ..  
 طفلة بريئة .. أم حنونة

جلستِ على يساري لكن عبيرك إرتمى في أحضاني ، أيعقل  
 أن تهتز مشاعري لعطر فتاة لا أعرفها ، أعترف أنني شممت  
 عطورا كثيرة أجمل ، لكن هذا العطر لامس قلبي و ليس  
 حواسي ، جلستِ واضعة قدمك فوق الاخرى و أنت تحركينها  
 ، ثم وضعت السماعات في أذنيك ، و كان صوتهما مرتفع  
 لدرجة رهيبية ، كانت تتبعث منهما موسيقى صاخبة اثارت  
 دهشتي ، فأنت أرق من أن تستمعي لهذا النوع من الموسيقى  
 ، لا أعلم لما فكرت هكذا بالرغم أنني لا أعلم أي نوع من  
 الفتيات انت ، رأيت الاختلاف يحيط بك من كل ناحية

أردت أن اشغل بالي الذي كاد يصبح مدمنا على التفكير في  
 تفاصيلك ، فتذكرت كتابا أهدته لي اختي الصغيرة قبل رحيلي  
 ، أذكر أن الكتاب و الكاتبة لم يثيرا فضولي لكنني وعدتها  
 انني سأقرأه اثناء الرحلة ، كان الكتاب رواية للكاتبة "احلام  
 مستغانمي" اسم الرواية "ذاكرة الجسد " ، أخرجته من  
 حقيبتي و أنا أطالع غلافه بإهتمام .. بدأت أقرأ الصفحة

الأولى ثم شئت إنتباهي الهدوء الذي عم جهتك ، فلم أعد أسمع صدى موسيقاك ، إلتفت إليك لأرى نظرة على وجهك أعلم أنه يستحيل علي نسيانها ، كانت كنظرة طفل يشاهد شيئاً عجيباً لأول مرة ، لم أستطع مسك ابتسامتي ، فابتسمت أيضاً ، أحسست بكلام يكاد ينفجر من حنجرتك لكنك إبتلعتة ، أردت أن تستجمعي شجاعتك و تكلميني ،.. ثم جاء صوتك لينقذني من عمق افكاري بعدها بقليل:

- الكتاب الذي بين يديك رائع ، إنه من أروع ما قرأت!

- في الحقيقة لم يسبق لي أن قرأت لأحلام .. لا تستوقفني كتاباتها!

ثم أجبت باندفاع كأنك تدافعين عنها:

- لا تستوقفك كتاباتها و تقرأ لها؟

- كل ما في الامر أن الكتاب هدية ، و وعدت صاحبة أنني سأقرأه!

لا أعلم لماذا أخبرتك بهذا ، من دون أن أذكر أن صاحبة الهدية هي أختي الصغيرة ، أ لأنني أردت أن أنتقم لنفسي منك ، بسبب تلك الغيرة التي أشعلت نيرانا في نفسي عندما رأيت ذاك الشاب واقفاً أمام النافذة منذ قليل ، لا أعلم ! كل ما أعرفه أنني تمنيت لو أنه يصيبك ما أصابني ، أردت أن

تبادليني نفس الشعور..

- لا بد أن دوق صاحبة الهدية رفيع جدا ، فكل من يقرأ لأحلام يملك احساسا مرهفا، مثلي طبعاً!

تعجبت كثيرا لطريقتك في الكلام ، كنت أريد أن أثير غيرتك ، لكنك أثرت إعجابي بأسلوبك الطفولي ، الأسر!

- إذن أنتم قراء أحلام إحساسكم مرهف و نحن الذين لا تستوقفنا كتاباتها ما محل إحساسنا من الاعراب ؟

- لا أستطيع أن أحكم عليك الآن ما دمت بصدد قراءته ، سأحكم بعد أن تنتهي منه ، فربما تقع في حب أحلام شأنك شأن الكثيرين ، و تنضم إلى جيوش أصحاب الاحاسيس المرهفة!

اذكر أننا ضحكنا معا كأصدقاء تجمعهم سنين طويلة ، نعم في تلك اللحظة أحسست بك كصديق يؤنس وحدتي..

نظرت إليك ثم نظرت إلى الكتاب ، فكرت أنني سأنغمس لقراءته و سأغيب عنك ، عجيب أمري ، كأنني خفت أن أشتاق إليك ، خفت أن تمر لحظة دون أن أنظر إلى تفاصيلك ... ! قرأت الصفحة الاولى ثم التفت إليك فوجدتك تنظرين إلي كما تنتظر من طفلها إنهاء وجبته ، كنت جميلة في نظرتك هاته ، فكلمتك بشفتين مبتسمتين:

- لا أظن أنني قادر على قراءته الآن ، لكنني سأقرأه عندما أصل ، أنه كتاب كبير!

- ألا تود قراءته الآن ؟ كيف سنستطيع أن نعرف أن كنت ستتنظم إلى جيوش أصحاب الإحساس المرهف ؟

لا أعلم ماذا أصابني عندما رأيت الملامح التي أعتمرت وجهك الملائكي ، كيف لنظرتك الحزينة أن تثير في دواخلي كل هذه العواصف من المشاعر ، ثم أجبتك:

- و أنت ؟ هل سبق لك أن قرأت هذه الرواية ؟

- بل حفظتها ! قرأتها عدة مرات..

- لا أظن أنك ستمانعين أن غششنا قليلا ! ستروينها لي انتِ و بعدها سأقرر إن كانت "أحلامك " تستحق كل هذا الاهتمام!

كنت خائفا من رفضك لطلبي المجنون ذاك ، كنت أترقب ملامحك و أنتظر ردك .. إتسعت عيناك و كأنك طفلة طلبت منها أن تحكي لي عن أول يوم قضته في المدرسة ، اعتدلت في جلستك ثم من دون أن تحاولي ترتيب أفكارك إسترسلت الكلام بشكل غريب ، كنت سعيدا لأنك ستروين لي رواية تفوق الثلاث مئة صفحة ، كنت كلي آذان صاغية ، كنت أنوب في تفاصيلك ، كنت تحركين يديك كأنك تصفين لي وجوه الابطال برسمها في الهواء ، كان تعبيرك مضحكا

أحيانا ، و كنت فاتنة أحيانا أخرى ، و كنت أغرق في دوامة عشق أعلم أنني لن أخرج منها قريبا ، أخبرك دوما أن صوتك من أجمل الأصوات لكنك تقولين أنني ابالغ ، ثم أخبرك أنك تبالغين في تواضعك و نضحك معا ، أتعلمين أنني أحببت أحلام مستغانمي من خلالك ، من خلال طريقتك في رواية قصتها ، كنت أضحك ملء قلبي عندما كنت تصفين البطلة بمواصفات مضحكة نظرا لما ارتكبته من خيانات ، كنت سعيدا لأنك لا تؤيدينها في أفكارها ، كنت أرى الاخلاص في عينيك ، كنت أرى كم ستكونين وفية إن أحببت يوما ، هذا إن لم تكوني عاشقة الآن .. مرت ساعة و أنت تروين لي ، لم أحس أبدا بالملل ، بل كنت أتمنى لو أن صوتك لا يتوقف ، أنا الذي لا أحب كثرة الكلام ، عشقت كلامك المتواصل ، عندما إنتهت القصة ، ضربت بكفيك و أنت تسأليني:

- و الآن ما رأيك ؟ لن تخبرني ان القصة لم تعجبك بعدما تركتني أتحدث لساعة .. أ كنت منصتا لي ؟ أريت كم عانى البطل المسكين ....

كنت أنصت إليك و أنا ابتسم لأنك لم تتركي لي مجالا لأجيب ، و كنت مستمتعا حقا لذلك ، ثم أجبتك:

- أتعلمين ما الذي أعجبني أكثر من القصة ؟

– ماذا ؟

– طريقة روايتك للقصة...

أذكر كيف أحمرت وجنتاك من الخجل أحسست أن الكلام يضيع منك كأنك لم تتكلمي من قبل دار بيننا صمت رهيب ، ثم رفعت عينيك لتنظري إلي ، غصت في نظرة عميقة ، أيعقل أننا وقعنا في الحب من خلال تلك النظرة ؟ أيعقل أن نحس أننا نعرف بعضنا البعض منذ سنوات ؟ أنت التي قابلتك منذ ساعات قليلة .. ثم جاء صوتك لكن بنبرة مختلفة هذه المرة:

– ماذا كنت تقول ؟ لم أكن منتبهة ! أعجبتك القصة أم لا ؟  
ستنظم لجيوشنا ؟

– إلا أعجبتني ... أنها قصة رائعة..

إبتسمنا ثم بدئنا نتحدث عن تفاصيل القصة ، لم نحس بمرور الوقت ، و لم نلتفت حولنا ، كان الوقت ليلا ، و كان الجميع نائما إلا أنا و أنت ، أتعلمين أنني لم أزد أن أسألك عن إسمك حتى لا تتحول الامور بيننا إلى رسمية ، أحببت أننا نتصرف كأصدقاء قدامى ، و إستغربت أنك لم تسأليني عن إسمي .. كنا نناقش كل موضوع دون أن نختر ، كنا نحاول إستبقاء بعضنا الأكبر وقت ممكن...

أنا الذي يكره السفر لمدة طويلة ، أصبحت أتمنى لو أن  
القطار لا يتوقف ، كنت أقع في حبك في كل لحظة ، كان  
الحب يغلب أي شعور آخر ، كنت خائفا .. ضائعا .. متوترا ..  
لكن الاكثر من هذا كله كنت عاشقا ..

- بالمناسبة .. ماذا تدرسين ؟

- خمن!

- ما دمت ملمة بالادب إلى هذه الدرجة .. أتوقع أن تكوني  
طالبة في صفوف الادب العربي..

- كنت أتمنى أن أدرس الادب العربي ، إنه مشروع القادم  
إن شاء الله ، لكنني أدرس علم الإجتماع..

- آه ! أتعلمين كم كنت أتمنى أن أصادف شخصا مُلما بعلم  
الإجتماع و علم النفس ، إذا سأستغلك فكريا أثناء هذه الرحلة  
، تمنعين ؟

- و بماذا ستقايضني ؟ ماذا تدرس أنت ؟ حتى نتبادل المعرفة

..

- أنا ! أنهيت دراستي السنة الماضية ، و الآن أنا في الخدمة  
العسكرية..

- إذا ستعلمني كيف أحمل السلاح



- حسنا ، و الآن سنبدأ بطرح الاسئلة ، كل في مجال الآخر حتى نتبادل المعرفة ، إبدئي !

لم تفكري كثيرا بالسؤال لكنه كان عفويا سريعا .. جريئا .. اجبتي بإقتضاب:

- من تلك الفتاة التي أهدتك الرواية ؟

خفق قلبي بشكل غريب ، أحسست بالدم يضح حتى يكاد يخرج من أطرافي ، أيعقل أنك أحسست بالغيرة كما أحسست أنا ؟ أيعقل أنك تحسین بما أحس ؟

- إنها هدية من أغلى فتاة على قلبي ... إنها من أختي الصغيرة لما السؤال ؟

- يمكنك القول أنني فضولية بعض الشيء و على عالم الإجتماع أن يطرح كثيرا من الأسئلة حتى و إن كانت لا تهمة ..

كنت جميلة و انت تحاولين أن تبرري لي سؤالك ، كنت فاتنة و أنت تحاولين إخفاء غيرتك وراء مبررات مضحكة ..

- و الآن دوري في طرح السؤال .. اممم ! من ذاك الشاب الذي جاء ليودعك قبل انطلاق القطار ؟

- ذال الشاب الوسيم .. أخي طبعاً ، ألم تلاحظ الشبه بيننا ؟

أراحتني إجابتك كثيرا ، إذا نحن على مثن الرحلة نفسها ،  
كان دورك في السؤال كنت اترقب سؤالك بلهفة و أنا أراقب  
تغير ملامحك كطفل يستعد لطرح سؤال شقي ، ثم نطقتي  
أخيرا:

- السؤال آل الحاسم ... ما إسمك ؟

ثم إنفجرنا من الضحك معا ، مرت ساعات من الكلام  
المتواصل و نحن لا نعلم أسماء بعضنا البعض ، أجبتك و  
دموع الضحك لا زالت عالقة بجفوني..

- إسمي يزن.. و أنت ما إسمك ؟

- ذكرني إسمك ببطل مسلسل "أبطال الديجيتال " كان إسمه  
يزن ، كان وسيما ، هذا لا يعني أنك وسيم و لا يعني أنني  
أشاهد الرسوم المتحركة طبعاً!

ضحكت و أنا أعيد عليك السؤال:

- أخبريني بإسمك يا غشاشة!

- ! إسمي روان ..

وقع إسمك على مسامعي كموسيقى هادئة ، كان كالحلم ، لا  
أعلم أين سبق لي أن سمعت بهذا الاسم ، لكنني أحببته فعلا ،  
أتصدقين أنني بدأت أتخيلك زوجتي منذ تلك الوهلة ، بدأت

اتخيل الناس ينادوك ب "السيدة روان! "  
ضحكت حتى أغيضك..

- إسمك يشبه إسم جبنة تباع بدولة السعودية!

كنت أنتظر ان تعدي حاجبيك معلنة إحتجاجك ، لكنك أجبتي  
مبتسمة!

- أحب الجبنة ، أن يكون إسمي يشبه الجبنة أفضل من أن  
يشبه شخصية كرتونية!

ضحكت و أنا أتأملك ، عرفت أنك فتاة لا يحطمها شيء ، فتاة  
قوة شخصيتها في خفة دمها ، عرفت أنني لن أحس أبدا  
بالممل و أنا بجانبك ، كنت أراقب ضحكائك و أحفظها ،  
أتعلمين أنك تملكين أنواعا من الضحكات ، و ضمن كل تلك  
الضحكات لا توجد ضحكة مصطنعة..

تكلما كثيرا .. لكن كان صوت هاتفك كان يقاطعنا كل فترة ،  
كانت أغلب الإتصالات من والدك أو إخوتك .. كنت تتكلمين  
كطفلة صغيرة تسافر للمخيم ، كان ظاهرا أنك تسافرين لأول  
مرة لوحدها ، كنت سعيد لأنني أسافر معك ، كنت أستمع إلى  
أحاديثك و أنا أبتسم ... جاء منتصف الليل و سكت هاتفك  
أخيرا ، و سكت كل صوت آخر على متن ذلك القطار، و علا  
صدي ضحكائنا ، كنت مطمئنا ، و كنت مرتاحة ، كنت

تتكلمين بدون توقف..

كنت أراقب الرجل الذي كان يجلس إلى يسارك ، أتعلمين أنني في لحظة أردت أن أداريك عن أعين الناس جميعا ، غرت في البداية من الطفل و ها أنا الآن أغار من أبيه ، ما هذا الحب المجنون الذي يجعلنا نلغي المنطق من حساباتنا ، ما هذا الحب الذي يجعلنا نعشق إمتلاك من نحبهم ، أعلم أنك قد ترين أنني تسرعت عندما سميت شعوري إتجاهك ب "الحب " ، لكنه كان حبا يا روان ، حبا من النظرة الأولى ، أتعلمين أنني كنت دوما أتخيل الفتاة التي سأقع في حبها "حقا" ، كانت دائما تشبهك ، بل و كنت تفوقين أحلامي بكثير ، كنت ملاكا يستحيل علي تجنب الوقوع في حبها ..

بعد منتصف الليل بدأ النعاس يرتسم على جفونك ، كنت تحكين عينيك بكاتا يديك معا ، كنت تتكلمين ثم تسكتين لتكلمي الكلام في موضوع بعيد كل البعد عن الموضوع الاول ، كنت أراقبك بإعجاب ، كنت تضحكينني كثيرا ، أتعلمين يا روان أنك أول فتاة تتمكن من إضحاكي بهذه الطريقة ، كل اللواتي مررن بحياتي كنّ مملات و ثقيلات الظل .. بعد مدة لفت انتباهي أن الرجل الجالس بجانبك قد نام و كان رأسه يميل إلى جهتك ، رغم أنه لم يكن يلامسك كتفك لكنني غضبت كثيرا، كدت أنفجر غضبا لكنني تمالكت نفسي ، فوقفت فجأة

و توجهت إليك بالكلام:

- تعالي مكاني ، أريد أن أجلس في المنتصف!

كنت أنتظر أن ترفضني أو ان تسأليني عن سبب طلبي ؟ كنت أنتظر أن أرى عنادك .. العناد الذي هو صفة عامة عند الفتيات ، لكنني تفاجأت بردك ، قفزت من مكانك و أنت ترديين:

- اووووه و أخيرا سأجلس أمام النافذة ، كنت سأطلب منك أن تبادلني المكان لكنني خجلت ، شكرا لك يزن!

كنت سعيدا بردة فعلك ، كنت سعيدا لأنك تختلفين عنهن ، كنت سعيدا لأنك ترديين اسمي ، أتعلمين ! أحببت أسمي من خلالك ، فدائما ما تنطقينه بشكل يختلف عن جميع ، تضيفين إليه طعاما خاصا..

جلست و أنت تنظرين إلى النافذة ثم نظرت إلي نظرة تعمها الخيبة

- يا غشاش ! لا أستطيع رؤية شيء من خلال النافذة ! نحن في منطقة مظلمة كثيرا!

- إذا إبقى مستيقظة حتى شروق الشمس ، سترين كم هو المنظر جميل!

- كم تبقى على شروق الشمس ؟

- أربع ساعات!

- و متى سنصل ؟

- إلى أين أنت متجهة بالمناسبة ؟

- إلى مراكش ، لأجري اختبارا لولوج الجامعة .. و أنت ؟

- إلى مراكش أيضا ... إذا ستزعجيني طوال الساعات المتبقية ؟

- ستكون محظوظا في حالة واحدة .. إن غفوت قليلا ، من حسن حظك أنني لا اتكلم أثناء نومي..

كنت أتمنى أن أجد شيئا أستطيع أن أزعجك من خلاله حتى أستطيع رؤية ملامحك الطفولية و أنت منزعجة ، لكنك كنت ودودة في كل ردودك ، كنت تضحكين و تضحكينني ، أتعلمين ؟ أنت أطف شخص قابلته..

كنا نتكلم حتى غفوت ، صرت أنظر اليك و أنت نائمة ، كنت خاطفة للأنفاس ، لم أعلم أن رؤية من تحب نائم شيء ممتع إلى تلك الدرجة ، وصلنا لمدينة فاس و كان علينا أن نغير القطار ، لم أرد إن أوقظك لكن كان من الضروري ذلك ، بدأت أهمس بإسمك بهدوء حتى لا تفرعي:

- روان إستيقضي .. روان ! وصلنا إلى فاس!

- أمي دعيني أناآآم أرجوك أمي!

ضحكت و أنا اسمعك تنادينني بأمي ، كنت تنظنين أنك في المنزل ، أعدت الكرة و أنا اصرخ هذه المرة و صوتي يملأه الضحك!

- قومي يا ماما ! سيفوتنا القطار..

استيقظت بفرع و أنت تسألينني:

- هل وصلنا ؟

- نعم ، نحن بفاس!

- لكنني ذاهبة إلى مراكش يا ذكي ! أتريدنا أن ننزل هنا و نكمل الطريق سيرا على الاقدام ؟

- لا يا عبقرية ، القطار الآخر في الانتظار ، سنكمل الطريق بقطار أسرع!

ابتسمت و انت ترددين أشياء مضحكة ، كنت تتذمرين و تسألينني اسئلة أنا نفسي لم يسبق لي أن فكرت فيها ، حملنا حقائبنا و خرجنا من المقطورة مسرعين ، لكنك وقفت و نظرت الي نظرة رجاء ثم اخبرتني انك نسيت شيء في المقطورة ، وضعت حقائبك امام قدمي و رجعت مسرعة إلى

القطار و انا اصرخ:

- إلى اين ؟ ماذا نسيت ؟

اجبتني من مسافة بعيدة و انت تركضين بشكل خلفي:

- نسيت ان أودع ادم!

مسكت برأسي بكلتا يداي و انا ابتسم ، و خاطبت نفسي ،  
"إنها هي ، هي يا يزن ، حبيبة قلبك ، فتاة احلامك ..  
المجنونة!"

بعد لحظات وجدتك واقفة امامي تبتمين ، و حملت حقيبتك  
و انت ترددين " أسرع يا سيد سنتأخر عن القطار و أنت  
السبب " ضحكت دون ان اعلق و انا انظر إليك.

وصلنا إلى القطار كان لا يزال واقفا ، سعدنا الى القطار و  
أنا أدعك تتقدمين حتى أستطيع أن أكون وراءك ، وجدنا  
مقصورة خالية، دخلت مسرعة و جلست قرب النافذة من  
جديد

كل ما فيك جعلني أفكر في الشاب الذي كنت عليه قبل  
معرفتك، رغم أنني أعلم أنك لا تحبين تسميتي ب " الشاب "  
فدائماً ما تقولين لي أنك رجل، أحب طريقة ترجمتك  
لأحاسيسك بكل بساطة ، تذكرت كيف كانت حياتي من دونك،



تذكرت كيف كنت أعيش يومي، كيف كنت مسئولاً عن نفسي فقط، وها أنا الآن أحس بالمسؤولية تجاهك، مررن بحياتي فتيات كثيرات، لكنني أكاد لا أذكرهن، لأنهن لم يتركن بصمة في حياتي، فتيات متشابهات، أجسام جميلة و عقول فارغة، أذكر أن أطول علاقة مررت بها كانت تناهز السنة، و خرجت من ذلك "الحب" سالماً معافى، لكنني أعلم أنني لن اخرج من حبك إلا و أنا مصاب بالكامل، فلن أستطيع الشفاء منك أبداً، أعلم هذا جيداً و مع ذلك لا أريد الانسحاب، و اثق أنا أن زهرة مثلك لا يسعها أن تؤذي قلبي الذي أحبها .. لكن حتى الورد يحوي أشواكاً .. لكنني لن أراجع و لن أتنازل.

قبل لقائي بك كانت كلمة "حب" تجلب لي التشاؤم، لأنني لم أشهد على قصة حب إلا و كانت نهايتها مأساة، كنت أقول دوماً ما نفع الحب إن لم يكن يجعلنا نحس بالسعادة؟ ما نفعه إن كان يجعل الرجل تائهاً و يجعل المرأة تبلى و سادتها بدموع القهر كل ليلة؟ ما نفعه إن كان لا يعطينا نشوة الطيور؟ كدت أشكك في وجوده أصلاً، كدت أتهم التاريخ بكل ما حمله لنا من قصص العشق و الحب الذي كبرنا و نحن نسمع عنها حتى تشكل الحب حلماً في نفس كل واحد منا، فالحب حلم يتمنى الكل أن يعيشه، لكن ليس الجميع يجهر بهذا،

فمثلا جميع أصدقائي لا يعترفون به، و يقولون أن لا وجود له، كنت دائما أظن أنهم يقولون العكس في قرارة أنفسهم ، فكيف لك أن تنكر الحب و أنت تمضي يومك تتفحص الرسائل النصية أو تنتظر أن يرن هاتفك ، نحن الرجال نتقن كيف نخفي مشاعرنا عن بعضنا ، لكن أعيننا تفضح ما في قلوبنا عندما نكون أمام المرأة التي نحب ، غالبا ما ينطق الرجل بعكس ما يحس ، الرجل يكتم مشاعره فالبوح بها لأي كان يجعله يظن أنه لا يختلف عن المرأة التي لا تجد صعوبة في الكلام عن مشاعرها حتى أمام أناس لا يعرفونها، في مجتمعي يعد الحب ضعفا و الاعتراف بالذنب جبنا و طلب المغفرة ذلا .. فلم أملك صديقا أبدا يحدثني عن الحب كما كان يحدث شعراء الجاهلية قومهم عن حبيباتهم بلسان يجهر بما ينادي به القلب.. في مجتمعي إما يتكلمون عن حبيباتهم بالسوء.. أو لا يتكلمون أبدا!

كنت أملك صديقا واحدا يعترف بالحب ، لكنه لم يقرر الاعتراف بل ظهر الحب الذي كان يفتك بجسده بوضوح ، صديقي أتعبه الحب و نخر صدره ، حتى ضحكه كان يغلبه الحزن أحيانا ، يقال أن حجم حبك الآن هو عمق جرحك غدا، صديقي خالد تنطبق عليه هذه المقولة ، حيث أنه أحب فتاة تصغره بسنوات قليلة ، كان مخلصا لها ، يحبها ، لا يتكلم

عنها لكن الجميع كان يعلم أنه مغرم بها، كنت أحس أحيانا أنها تجري في عروقه ، كنت أحسد العشاق ، لكنني أبدا لم أحسده على وضعه ، كانت معه و كان كمن يحتضر ، كنت أفكر يوما ما سيحل به إن قررت تركه يوما .. كنت خائفا .. و حصل ما خشيته ، أتعلمين يا روان كنت أتمنى ألا أقع في الحب يوما إن كنت سأصل إلى مآل صديقي ذاك ، تركته تلك التي كان يحبها كالمجنون خلفها و قررت أن تتزوج من غيره، أذكر أنني إلتقيته ليلة سماعه بخبر زواجها ، كان شاحبا و كأن وباءا أصابه ، طلب مني أن نبتعد بالسيارة عن المدينة فلبيت طلبه دون أن أجادل ، لأنني كنت أعلم أن حالته وصلت إلى أقصاها ، أن تجادل رجلا في حالته كأنك تخبط كلماتك بحائط سينهار في أية لحظة، احتفظت بأسئلتني لنفسي و انطلقت بالسيارة بعيدا دون أن أطلب إذن أبي و دون أن أفكر في العواقب ...كنت أتوقع أن نقف في مكان خال ليتمكن من الكلام ككل مرة ثم نعود أدر اجنا لكنني تفاجئت بما فعله تلك الليلة، كنت مرتعبا و مصابا بنوبة ذعر بما رأيت، عند وصولنا ترجل خالد من السيارة ثم وقف بعيدا و بدأ بالصراخ بكل ما أوتي من قوة، بدأ يصرخ و يصرخ و هو يردد " أخرجني من أعماقي .. أخرجني من جوفي .. أخرجني فلم أعد أستطيع حملك في عروقي بعد الآن " كان يبكي بكاء لم يسبق لي أن شهدت رجلا يبكيه ، كان صديقي يحترق أمامي و لم

تكن بيدي حيلة ، لم أستطع الاقتراب منه ، تركته يفرغ ما بداخله ، جلس على ركبتيه و هو يصرخ حتى أحسست في لحظة انه كاد يغمى عليه ، جلست إلى جانبه و أنا انظر إليه ، لعنت الحب و ساعته ، كيف للحب أن يقتلنا و نحن أحياء ؟ كرهت تلك الفتاة بالرغم أنني لم أكن أعرفها ، بل كرهت النساء جميعا، حاولت أن أواسيه ، لكن كان كالحجر أمام كلماتي ، لم يبدي أية ردة فعل ، علمت بعد مدة أنه لم يكن ينصت إلي أصلا ، كان يشهق كالأطفال و هو يمسح عن عينيه ، صديقي الشامخ ، هاهو الآن منهار كجسر من جسور بلادي الهينة ، قضينا تلك الليلة في العراق ، عدنا إلى السيارة و أمضى خالد الليلة يحدثني عنها و كأنها لا زالت ملكه ، كان يعود إلى رسائلها في هاتفه في كل لحظة ، سكت لولها ثم التفت لأجده يغطي وجهه بكلتا يديه و ينهمر باكيا ، ناولني هاتفه لأقرأ رسالة كتب فيها " أنا و أنت لن نفترق ما دمنا على قيد الحياة ، أنا و أنت روح و انقسمت إلى نصفين ، لا تتركني أبدا فأنا لا أقوى على العيش من دونك .. أحبك ! ليلة سعيدة " ، كانت الرسالة منها، أرسلتها له منذ شهر..

عدنا في الصباح إلى المدينة ، عدت محملا بمشاعر متناقضة ، عدت ساخطا على كل شيء يحمل حرف "الحاء" أو "الباء" !

كنت قد سرحت بخيالي كثيرا، أحسست أنني اشتقتك، التفت إليك لأجذك واضعة رأسك على النافذة و أنت تضمين ساقيك إلى صدرك ، متخذة وضع الجنين ! كنت جميلة ، كنت ترتدين جوارب زهرية مزينة برسوم ، ناديتك و أنا أبتسم:

- يا صغيرة ! جواربك جميلة ، من أين ابتعتها ؟

- ابتعتها من نفس المحل الذي تبتاع منه أنت ملابسك!

- أرى أنك سليطة اللسان عندما يحين وقت نومك!

- و أنا أرى أنك قليل أدب عندما يغلبك النعاس !

ضحكنا معا، كنت مندهشا لتصرفاتي، لم أكن يوما هكذا ، لم أكن أتكلم هكذا ، أيعقل أن تكون عدوى ثرثرتك الجميلة انتقلت إلي ؟ كنت تشيحين بوجهك نحو النافذة حتى سمعت ضحكات فتيات دخلن إلى المقصورة ، أربعة فتيات في العشرينيات ، جميلات ، يتكلم بصوت مرتفع ، يرتدين ملابس ضيقة ، و لهجتهم تختلف عن لهجتنا ، جلست إحداهن بجانبني و الأخريات جلسن في المقاعد المقابلة و أغلقن الباب ، كنت أنا الشاب الوحيد بين الخمسة فتيات ، كنت أنظر إليهن و أنا أتفحص ملامهن ، نظرت إليك لأرى تلك النظرة لأول مرة ، كنت عاقدة حاجبيك و أنت تنظرين إلي نظرة عتب فرحت لها كثيرا ، أحسست بغيرتك ، فقلت:

- ما بك تنظرين إلي هكذا ؟ أخفتني!

- كنت سأسألك نفس السؤال ..

قلت هامسا:

- أ رأيت كم هن جميلات ؟

لم تجيبي لكنك أدخلت قدميك في حذاءك كأنك تذكرت فجأة جواربك .. ثم قلت:

- إذا أنت تحب هذا النوع ؟ جيد .. أريد أن أنام احرمني من صوتك يا سيد رومانسي!

ها قد رأيت روان التي كنت أتمناها ، الغيورة ، الطفلة ، لم أقل لك يومها أنك بجواربك و بحجابك الفوضوي كنت أجمل بكثير منهن .. بل كنت الأجمل و باقي نساء الكون ذرات رمل كما قال نزار قباني!

جلست و أنت تلعبين بأصابع يدك بتوتر ، حتى كلمتني إحدى تلك الفتيات حيث طلبت مني أن أساعدها في رفع حقيبتها و نظرت إليك كأنني أستاذك ، رفعت أحد حاجبيك و أنت تنظرين إلينا ثم أشحت بوجهك بعيدا ، قمت و ساعدت الفتاة دون أن أنظر إليها ، شكرتني لكنني اكتفيت بهز رأسي دون أن أبتسم ، و عدت إلى مكاني و توجهت إليك بالكلام:

- أتعلمين أنك تصبحين قبيحة عندما تعقدين حاجبيك ؟  
تذكريني بالقزم غضبان في قصة فلة

لم تجيبي ثم سمعتك تقولين بصوت خافت و ملامحك كطفل  
يحاول تقليد صديقه لإغاظته " أيمكنك أن تساعدني في رفع  
حقيبتى أرجوك.. تافهة! "  
ثم أردفتي:

- لماذا يرتدين الكعب العالي إن لم يكن سيستعملنه!

- و ما الذي يزعجك في الأمر ؟ أتغارين ؟

- أغار !! على من أغار ؟ من من سأغار ؟ أرجوك..

- تغارين مني لأنني طويل يا قزمة..

نظرت إلي و أنت تتمالكين نفسك حتى لا تتفجري من  
الضحك ، لكنني حفرتك لأنني انفجرت ضاحكا ، كنت أريد  
أن أخبرك أن لا أحد سيأخذني منك يا روان ، كنت أود لو  
أخذتك في صدري و أنا أطمئنك ، كنت أود لو أخبرتك أنني  
أحبك ، لكنني خفت من عدم تصديقك إياي ، خفت أن أخسرك  
، خفت أن يكون ردك قاطعا خادشا لمشاعري ، فتحفظت عن  
البوح

انتبهنا بعد تلك الضحكة أن كل الموجودات ينظرن إلينا

فقررنا أن نصمت قليلا ، نظرت إلي نظرة خجل و أنت  
تعضين إحدى شفتيك، ابتسمت لحركتك تلك ، ثم سألتك:

- روان ! بماذا تشعرين الآن ؟

ابتسمت ابتسامة عريضة أظهرت كل أسنانك و أنت تقولين:

- أشعر بالجوع ! متى سنأكل ؟ بالمناسبة لا أحب أن ينظر  
إلي أحد و أنا آكل ، أنا أنبهك فقط!

ضحكت لطريقتك في التجنب من الرد عن سؤالي ، أكنت  
خائفة مثلي ؟ أكنت تحسین بما أحس ؟ أنت فتاة حساسة جدا ،  
لا يمكن أن يمر عليها التجاذب الذي وقع بيننا مرور الكرام ،  
أجبتك:

- أفعلا أنت جائعة ؟ إذا سنأكل الآن .. أنا أيضا جائع!

أخرجنا ما في حقائبنا من طعام ، أمسكت "ساندويتشا" بكلتا  
يديك و أنت تنظرين إلي رافعة أحد حاجبيك:

- ماذا قلنا عن النظر أثناء الأكل ؟

ضحكت و أنا أبعد عيناى ، تعمدت أن أنظر لإحدى الفتيات ،  
فجاءني صوتك:

- هناك احتمال كبير أن أعجز عن التنفس أثناء الأكل إذا  
عليك أن تنظر إلي لتكون جاهزا للإسعافات الأولية ،



أتسمعي؟ أنظر إلي..

أعدت النظر إليك و أنا أبتسم ، إذا أنت تغارين لهذه الدرجة يا روان ، سأستغل غيرتك هذه حتى أتأكد من مشاعرك ، كنت أنظر إليك و أنت تأكلين بشهية أنثوية ، كنت آكل طعامي بين الحين و الآخر و أنا أنظر إليك ، كنت خجولة من نظراتي ، و ما أجمل خجلك يا روان ...

انتهينا من الطعام و جلسنا نتبادل أطراف الحديث و لكن بصوت خافت هذه المرة تحدثنا عن طفولة كل واحد منا ، تذكرين أنت التفاصيل بينما أحاول أنا نسيانها ، كنت تتحدثين عن طفولتك كأنها انقضت منذ سنين ، أنت التي لم يتجاوز عمرها العشرين سنة ، كم أردت إخبارك انك لا زلت طفلة ، طفلتي أنا ! حديثنا عن الطفولة جعلني أكره طفولتي التي لم تكن تتضمن أي ذكرى عنك ، تمنيت لو أنك كبرت معي ، لو أنك كنت تحت رعايتي منذ نعومة أظفرك ، كان عمري أربعة سنوات عندما رأيت عيناك النور ، ماذا كنت أفعل في تلك اللحظة ؟ أكنت نائما ؟ أم كنت العب ؟

لم يسبق لي أن فكرت في الماضي بهذه الطريقة إلى أن عرفتك ، أصبحت أريد أن أربط كل شيء بك ، طفولتي ، مراهقتي ... كل شيء ! أبحث عنك في تفاصيل حياتي السابقة كأنك كنت موجودة و لكنني لم أدرك ذلك ، كدت

أصبح فيك لوما عن غيابك عن حياتي من قبل ، غضبت كثيرا لأنني أضعت الكثير من الوقت باحثا عنك في وجوه أخريات ، لطالما كنت فتاة أحلامي يا روان..

الوقوع في الحب يجعلنا نعيد النظر في كثير من حساباتنا ، يجعلنا نريد أن نغير من أنفسنا حتى لا يهرب الحب منا .. أو على الأرجح حتى لا يهرب الحبيب منا ، الحب يعلمنا الإخلاص و الصراحة و يعلمنا الكثير الكثير من الخوف!

كنت دائما أحتقر العلاقات التي فيها أكثر من طرف ، كيف لهما أن يوفقا بين الحب والخيانة ؟ الصدق و الكذب ؟ كنت أحتار في الطريقة التي يسلكونها لكي لا يلاحظ الطرف الآخر هذا التغيير ، كيف لشخص أن يحب فتاة إن كان عقله مشغول بأخريات ، كيف لحبيبه أن تشعره بالأمان إن كانت تقسم وقتها بينه و بين آخرين ؟ الكذب لا يمحو الحقيقة لكنه يؤجلها فقط ، إذا سيأتي يوم ينكشف فيه كل خائن .. و ليس للحب مكان بين الخائنين

متأكد أنا أن فتاة مثلك لا يوجد مكان للخيانة في قلبها ، براءتك تناقض كل فعل مذموم ، لا أستطيع أن أتخيلك تخونين ، لأنك ببساطة أسمى من أن تفعل ذلك ، منذ اللحظة الأولى حين رأيتك قررت أنك ستكونين ملكي ، لم أحب يوما امتلاك شيء .. لكنني رغبت فيك بشدة يا روان ، لم أرد أن

ينتشاك من داخلي شيء ، أردت لنا قصة لا نهاية لها ، لا أريد أن أنتهي منك يوماً فعلاً لا أريد.

سكتنا للحظة و نحن ننظر إلى بعضنا البعض ، كنت تنظرين إلى عيناى بشكل ملفت ، كنت تحركين عينيك بسرعة بين عيناى ، أربكتني نظراتك فابتسمت و بادلتني الابتسامة ، كنت تقولين أشياء كثيرة حتى من دون أن تتكلمي ، لم أعر انتباها للموجودات بل أردت أن تطول تلك النظرة التي يغلبها النعاس ، رجعنا برأسينا إلى الوراء و نحن نحقق ببعضنا البعض ، طالت النظرة حتى أنني لم اعرف كم من الوقت بقينا على ذلك الحال .. وصل القطار لأحد الأنفاق و انقطع التيار الكهربائي فجأة ، أمسكت بذراعي الأيمن حتى أحسست أنك كدت تقتلعينه ، و نطقت بصوت شبه مكتوم:

- يزن ، أنا مصابة بفوبيا الظلام

كنت صامتا أنصت لكلامك و يدك متشبثة بي ، أحسست بصعقة أصابت قلبي إثر لمستك تلك ، كانت لحظة أردتها أن تدوم للأبد .. خاطبتك كمن يخاطب طفلة في الخامسة من عمرها:

- اهدئي ! اهدئي ، أنا هنا ، أنا بجانبك ، ما من شيء مخيف سيحيىء النور بعد لحظات ، لا تخافي..

و أمسكت بهاتفي و أضأت مصباحه ثم وجهته لوجهك لأرى  
لمعان دموعك ، لم أخطأ عندما أسميتك "طفاتي" ، كنت  
متشبثة بذراعي بقوة حتى غرست أظافرك فيها ، انفجرت  
ضاحكا لمنظرك ذاك ، أجبتي بكلمات تخرج من بين أسنانك  
:

- أصمت يا شرير! ..

- أنا شرير ؟ اعذريني لست أنا من يغرس أظافره كقط  
متوحش في ذراع الآخر!

سحبت يديك بسرعة ، لم تكوني مدركة أنك تمسكين يدي ،  
فأربكك جوابي ، ضحكت بصوت عال هذه المرة و أنا أنظر  
لحاجبيك و تشكلهما المضحك .. فبدأنا نتجادل كأطفال ،  
تجادليني فأزيد من حدة النقاش ، بقينا على ذلك الحال حتى  
عاد النور ، ثم سكتُ و أنا أتأملك مبتسما ، فأدركتِ أنتِ أنني  
كنت أحاول تشتيت انتباهك حتى لا تفرعي، كنت أحاول أن  
أنسيك الظلام ، كنت أعالجك من فوبيا الظلام و لم أكن أدرك  
أنني أصاب بفوبيا فقدانك ... نظرت إلي و أنت تقولين  
بصوت خافت يكاد لا يسمع:

- شكرا لك ! يا شرير..

- العفو يا متوحشة .. الآن علي أن ابحت عن لقاح يقيني من

السموم التي نقلتها لي أظافرك!

أمسكت بيدي و أنت تصرخين و الخوف يمتلكك:

- يزن أنت تنزف.. سامحني أرجوك لم أقصد.. سامحني أرجوك!

نهضت مسرعة تفتشين في حقيبة يدك ، فأخرجت منها دواء مطهرا و ضمادات ، أمسكت يدي لكن بلطف هذه المرة و بدأت تنظيف الجرح الذي خلفته أظافرك الناعمة ، كنت قلقة جدا ، و كنت سعيدا جدا بما يحصل ، كنت أنظر إليك و أنا أتفحص ملامحك الحنونة ، ذكرتني بأمي الغالية ، أمي التي يصيبها القلق إن أمسكت برقبتي أو برأسي ، أمي التي تسألني بين الحين و الآخر عن صحتي حتى و إن كنت بجوارها ، أمي التي لا تنام حتى تتأكد أننا جميعا ننام براحة ، أمي التي لا تأكل حتى تتأكد أننا أكلنا ، أمي يا روان التي كنت أتذمر من شدة قلقها علي بالرغم أنني كبرت ، أمي التي أفتقدها كلما سافرت مبتعدا عنها ، أفتقدها يا روان ، لن أكبر أبدا ما دمت أملك أما مثلها ، و ها أنت تملئين جزءا من الفراغ الذي أحس به في بعدي عن أمي ، ها أنت تدلليني كما تفعل هي ، هي دافعها الأمومة ، و أنت ما دافعك يا روان ؟ كم أتمنى أن يكون دافعك الحب .. كم أتمنى!

يجيء الرجل إلى الحياة فتكون أمه أول حب في حياته ، الأم تعلمنا الحب ، تعلمنا كيف نسامح كيف نغفر ... يقال أن الجنة تحت أقدام الأمهات ، لكن أمي أنا هي الجنة نفسها ، آه لو تعلمين كم أحبها ، حبي لأمي ليس كأبي حب ، أعلم جيدا أنها امرأة لا مثيل لها .. مثلك تماما ! أنتما متشابهتان، أنتما امرأتان لن يكررها الزمن بالنسبة لي ، و كم هو جميل أن تحب امرأة ترى فيها حنان أمك ، الحنان يزيد من أنوثة المرأة و ليست الشدة من تفعل ذلك ، كم أريد أن تكون بينك و بين أمي قواسم مشتركة يا روان ، حنانها ، صبرها ، ابتسامتها ، بساطتها ، حرصها .. بما أنني أحببتك أعلم جيدا أنها ستحبك كذلك ، رغم فارق السن بيني و بينها إلا أنها كانت صديقتي دوما ، بل كانت صديقتنا .. أنا و إخوتي الثلاثة .. أمي امرأة تحترم الحب يا روان ، هي دائما في صف المتحابين بالرغم أنها لا تجهر بذلك ، لكنني متأكد أنها لم تكن يوما ضد الحب .. منذ سنوات أحب أخي مراد فتاة من مدينتنا ، أخي الذي يكبرني بثلاث سنوات ، أحبها جدا يا روان ، كنا نعلم أنه واقع في قصة غرامية دامت لسنين ، لكن لم نكن نعرف شيئا عن التفاصيل ، لم أرد أن أسأله يوما ، أردت أن أحترم حرمة مشاعره ، و لأننا لم نكن نتحدث في أمورنا الخاصة مع بعضنا البعض ، و طبعا أمي كانت تعلم أن تصرفات ابنها مراد كانت تصرفات عاشق ، لا أعلم كيف

، لكن لكل أم حاسة سادسة ، حتى جاء اليوم الذي طلب فيه مراد من أبي و أمي أن يذهبا ليطلبوا الفتاة من والديها ، و تحجج أنه رآها في الحي بضع مرات و سأل عنها و أعجب بأخلاقها ، مع العلم أننا في زمن لم يعد فيه أحد يتزوج بهذه الطريقة ، سألته أبي عن الاسم الكامل للفتاة ، أجابه مراد بتردد ، ما إن أكمل مراد الاسم حتى قام أبي من مكانه معلنا نهاية الحديث بجملة لن أنساها ما دمت حيا:

- لم تجد إلا ابنة ذاك المعتوه لتتزوجها ؟ سأقول كلمتي و لا أريدك أن تفتحنى بهذا الموضوع مرة أخرى ، كل بنات الدنيا .. إلا تلك ! أفهمت ؟

كنت أعلم أن مراد ليس صبورا بما يكفي ليكتفي بالسكات أو بالرد بطريقة قد تنقص من حدة غضب أبي ، مراد أخي شخص لا يقبل بالرفض ، و خاصة إن تعلق الأمر بحب حياته ، وقف مراد و الكلمات تخرج من بين أسنانه كأنه يحاول كتمها و الغضب يمنعه:

- إسمها وفاء ، وفاء و ليست "تلك" ! ثم إنني سأتزوج منها لا من والدها ، ما ذنبي أنا إن كنت أنت و والدها في صراع ؟ ما ذنبنا ؟

فأجابه أبي مستهزئا:

- كل هذا لأنني لم أوافق أن تتزوج من "تلك" التي رأيتها  
 "فقط" فأعجبتك أخلاقها؟ اسمع يا ولد، تعلم جيدا أنني لا  
 أحب أن تجادلي، إذا أرح نفسك و أخرج هذه الفكرة من  
 رأسك الصغير، لن تتزوجها، عندما أموت افعل ما تشاء ..  
 انتهينا!

ثم انسحب أبي من المجلس، و كل هذا و أمي صامته يا  
 روان، لكنها انهمرت باكية عند خروج أبي، علمت أنها  
 تبكي مسبقا قبل أن يبكي مراد، علمت أنها تعلم كم هو صعب  
 أن تحرمك الحياة ممن تحب، سواء كان ابنك أو حبيبك .. أو  
 أيا كان، كنت أنتظر من مراد أن يثور غاضبا صارخا، لكنه  
 جلس حاملا رأسه بين يديه، و بين دموع أمي و صمت مراد  
 كان يعم حزن كنت أعلم انه لن ينتهي قريبا، مضت الأيام و  
 مراد يفتح أبي كل يوم في نفس الموضوع، تغير كثيرا،  
 أصبح شخصا لا يستسلم، أيمن للحب أن يغيرنا إلى هذه  
 الدرجة؟ تغير مراد بالكامل، أتعلمين يا روان! أصبح أخي  
 يصلي طوال اليوم، بل كان يقوم الليل بكامله في بعض  
 الأحيان يدعو الله أن يمنحه إياها، كنت أحس بقلبي يعتصر  
 عندما أصحو في وقت متأخر من الليل و أسمعها يحادثها على  
 الهاتف بصوت منخفض و هو يطمئنها:

- وفاء وفاء وفاء! لا تبكي حبيبتي لا تبكي، كل شيء



سيكون على ما يرام ، أنت لي ، اصبري حبيبتى اصبري ،  
أعدك أنني لن أتركك لغيري ، مررنا بأصعب من هذا ،  
اصبري !

كنت أتعجب لطريقته في الكلام معها ، كأنه ليس أخي الذي  
عرفته ، منه تعلمت أننا في الحب نكون على سَجِيَّتنا ، هناك  
من يزيد الحب إيماناً ، و هناك من يزيده قوة ، هناك من  
يصبح أجمل بالحب ، و هناك من يضعفه الحب كثيراً .. لكل  
طريقته في الحب لكننا نتوحد في الأخير تحت رحمة هذه  
الكلمة التي تتكون من حرفين!

مرت الأيام و لم يتوقف إصرار مراد ولا عناد أبي ، حتى  
أصبحتا يتصارعان كلما سنحت لهما الفرصة ، كنت أنتظر  
من أمي أن تطلب من مراد أن ينسى و أن يبدأ من جديد ،  
لكنها كانت تسانده و تطلب منه الصبر ، و التشبث بالله عز و  
جل ، كانت حالة مراد تتدهور مع مرور الأيام ، و رغم  
محاولات أمي إلا أن قلب أبي لم يخضع لرغبات مراد ، ما  
هي إلا شهور قليلة حتى التجأ مراد إلى خالي حسن ، خالي  
أستاذ يدرس اللغة العربية ، و سمعته جيدة جداً بالمدينة ،  
رجل في الخمسين من عمره ، خالي يشبه أمي كثيراً ، فنحن  
كثيراً ما نلجأ إليه لنستشيره في أمور حياتنا ، طلب مراد من  
خالي أن يرافقه ليتقدم لخطبة وفاء ، تردد خالي بعض الشيء

في البداية ، لكنه وافق رغم أنه يعلم ما العواقب التي تنتظره ،  
أظن أنه وافق خوفا على مراد أو خوفا من الحماقات التي  
يمكنه أن يرتكب ... كنت أنا وأمي و أخواتي الاثنتين نعلم  
بكل ما يجري ، حيث أن مراد كان يخبرنا بالمستجدات ، كان  
أبي هو الوحيد الذي ليس على علم بما يجري ، و لو علم  
لقامت الدنيا و لم تقعد ، من الواضح أن عائلة وفاء كانت  
متساهلة و متعاطفة مع الإثنتين ، حيث أنه بعد شهر قليلة  
تزوج مراد بوفاء من دون علم أحد ، فقط بعلمنا و علم أسرة  
وفاء ، و أخذها بعيدا و انتقل للعيش في مدينة أخرى و أخبر  
أبي أنه ذاهب للعمل ، وكشف أبي الأمر بعد ثلاث سنوات ،  
و غضب غضبا شديدا ، و أخبر مراد على الهاتف أنه لا يريد  
أن يرى وجهه مرة أخرى ، لكن كالعادة مراد أخي لا يستسلم  
، جاء بعد شهر من تلك المكالمة ، جاء مع وفاء .. و ابنيهما  
الصغير سامي ! كان عمره سنة ، ما إن رأى أبي سامي حتى  
أخذه بين أحضانه يقبله و دموعه تنهمر على خده .. اطمئن  
قلبي في تلك اللحظة ، علمت أن المياه ستعود لمجاريها بعد  
صبر طويل ، كل شيء كان على ما يرام لأن أمي كانت  
المساند الرسمي لهذه القصة يا روان ، كم أتمنى أن تساندني  
أمي للحصول عليك!

التقت عينانا بعد أن ضمدت جرحي ، و قلت بصوت يشبه

البكاء:

- سامحني لم أتعمد .. سامحني!

أجبتك باقتضاب لأنني كنت عاجز عن الكلام أمام عينيك:

- لا عليك...

استأذنتِ مني لتذهبي لغسل ما علق على يديك من دواء ،  
لاحقتك بعيناي حتى خرجت من المقصورة ، أحسست بكل  
حواسي تلاحقك و أنت تخرجين ، فعلا لا أقدر على غيابك ،  
لا أريدك أن تغيبني يا روان ، عند خروجك طلبت مني الفتاة  
التي كانت بجواري أن أعيرها هاتفي ، قالت أن هاتفها نفذت  
بطاريتها و أنها تحتاج لإتصال مستعجل ، كانت طريقته في  
الكلام جد لبقة ، مما جعلني أخجل من رفض طلبها ، ناولتها  
هاتفي ، كانت تكتب الأرقام ببطء .. حتى أثار انتباهي وقوفك  
على الباب ، كان وجهك يوحى بالخيبة ، خيبتك مني ، لم أعلم  
لما ارتبكت بالرغم أنني لم أكن أفعل شيئا غير صائب ، ربما  
كنت خائف من أن تترجمي ما رأيته بالشكل الخاطيء ، خفت  
عليك من الخيبة ، أنت التي منذ قليل كنت تضمدين جرحي ،  
ها أنا أجرحك الآن .. دخلت و جلست في مكانك من دون أن  
تنطقي بكلمة ملامح الخيبة تحولت إلى ملامح القسوة، كنت  
قاسية يا روان ، لم أتفوه أنا بكلمة كنت أنتظر أن تكتشفي أنك

ظلمتني ، كنت أنتظر أن تتكلم الفتاة باستعمال هاتفي و تتأكدي أنني لم أناولها إياه قصد شيء آخر .. لكن ألمي خاب أنا الآخر عندما تراجعفت الفتاة عن الإتصال ، بل و ناولتني هاتفي من دون أن تتكلم ، أظن أنها تعمدت ذلك ، لأن غيرتك كانت واضحة للجميع ، ابتسمت و هي تناولني هاتفي ، أخذت هاتفي منها بصدمة كبيرة ، و التفت إليك لأجذك تنظرين إلي مبتسمة ابتسامة استهزاء ، كأنك تقولين لي " ظننتك مختلفا " ، واصلت النظر إليك حتى أشحت بوجهك بعيدا .. كنت أحس بصدري يعصر قلبي ، كان ألما غريبا لم يسبق لي أن عشته ، كنت أتألم لأنني أملك حتى دون أن اقصد ، كنت أتألم لأنك ظلمتني ، كنت أتألم خوفا من أن أخسرك ، كانت لحظات قليلة حتى وصل القطار إلى محطته التالية ، في هذه المحطة نزلت الفتيات الأربع ، كنت سعيدا بنزولهن ، التفت إليك بعد أن أصبحنا لوحدنا ، و قلت:

- روان ! دعيني أشرح لك ما حدث..

- ماذا تريد أن تشرح ؟

- أريد أن أشرح لما كانت الفتاة ممسكة بهاتفي!

- آه ، و ما دخلي أنا ؟ ليس عليك شرح شيء ، أنا و أنت لا تجمعنا أية صلة سوى أننا نساfer على نفس القطار ، إنها

حياتك و لا دخل لي فيها ، افعل ما تشاء!

كنت أنظر إليك مندهشا ، مصدوما ، أهذه أنت ؟ كيف يعقل أن تقسي علي إلى هذه الدرجة ؟ كيف أمكنك القول أنه لا تجمعنا أية صلة ، أعلم أنني بت أفكر بلا منطق ، نعم لا تجمعنا أية صلة لكن يا روان ما بيننا أقوى من أن يسمى "صلة"

لم أستطع أن أتكلم ، خرجت من المقصورة غاضبا من كلماتك التي هزت بدني ، وقفت في الرواق مسندا ظهري إلى الحائط ، كنت أفكر في هذا الضرب من الجنون الذي بدأ يصيب مشاعري ، كيف لي أن أحبك لهذه الدرجة بالرغم أنني إلتقيتك منذ ساعات ، كيف لي أن أنزعج من كلماتك التي هي جد عادية ؟ بل هي واقعية ، كنت أفكر و أفكر ، كنت أتنفس بصعوبة ، كأنني أصاب بنوبة زعر ، كنت خائفا يا روان ، أثناء ذلك أنقطع التيار الكهربائي للمرة الثانية ، لا أعلم لما أتجهت إليك حتى دون أن أفكر ، لم أرد ان تصارعي خوفك من الظلام لوحذك ، أضئت مصباح هاتفي و جلست بجانبك ، كنت ترتعدين لا أعلم هل من الخوف أم من البرد .. أو الخيبة هي التي ألحقت بك هذا ! أخرجت غطاءً من حقيبتني لأنني تذكرت أنك تركت غطاءك مع الطفل رائد ، وضعت الغطاء فوق ركبتيك دون أن أكلمك ، نظرت إلى

عينيك كان النعاس يفتك بهما يا روان ، أدت وجهك نحو  
النافذة بعتب و أنت تحضنين الغطاء ، ما هي إلا لحظات حتى  
ذهبت في نوم عميق ، أسندت رأسي و أنا أراقبك تنامين  
كالملاك ، لكنني أحزنتك يا ملاكي ، أعلم .. لكنني لم أقصد ،  
فعلا لم أقصد ، كنت أراقبك تتنفسين بهدوء ، و ما هي إلا  
دقائق حتى غيرت وضعية نومك ليصبح وجهك مقابلا لي ،  
ها أنت أمامي لا تفصلني عنك سوى بضع سنتمترات ، و  
أخيرا سأنظر إلا تفاصيلك دون أن تلاحقني عيناك البنيتين...

وصلنا إلى منطقة حيث كان يهتز القطار بقوة ، و الأصوات  
التي كانت تحدثها الحقائق أيقظتك ، نظرت إلي و عيناك  
يملاهما النعاس ، و نطقت بصوت يشبه البكاء و أنت نصف  
نائمة:

- يزن ! أعطيت تلك التافهة هاتفك لتسجل عليه رقمها ؟

- ألم تقولي قبل قليل أن الأمر لا يعنيك ؟

- بل يعنيني ، أجبني!

- لا و الله لم أفعل ، ناولتها إياه لتجري إتصالا لا أكثر ، إلا  
أنها تراجعته و لا أعلم السبب ... لست أنا من يفعل مثل هذه  
الحركات يا روان...

إبتسمت فإطمئن قلبي ، و كأنك فتحت لي الباب لكي أوصل

كلامي ، فإسترسلت:

- يجلس بجانب القمر و تريدني أن أنظر لأخريات ؟  
مستحيل!

- إخرس يا صاحب الهاتف العمومي ، إن رأيت هاتفك خارج  
جيبك هذه المرة سأرمي به من النافذة ..

ضحكنا كثيرا ، شكرت النعاس الذي يفعل بك كل هذا ، ثم  
أجبتك:

- عودي للنوم يا سليطة اللسان ، فأنت لم ترتاحي طوال  
الرحلة

- أنت كذلك لم تحصل على قسط من الراحة .. أتعلم أمرا ؟

- ماذا ؟

- لا أريد أن أضيع لحظة في النوم ، أريد أن أبقى مستيقظة ،  
أريد أن أستغل كل لحظة..

- حسنا دعينا نشاهد الشروق معا هذا الفجر!

أحسست أن العالم يتراقص فرحا من أجلي ، كنت مرتاحة ،  
كم أحببت أن لا تنتهي تلك اللحظات يا روان ، كنا نقرب من  
الوصول، كنت خائفا من أن أحرم منك ، كنت مرتعبا من  
فكرة تمنيت لو أنه يتوقف .. إلى الأبد!

جاء الفجر حاملا معه كل شعور بالراحة ، جاء الفجر هذه المرة كأنه يعلن بداية قصتنا ، كأنه يخبر كل من في الأرض أن حبا جديدا ولد بعد هذه الليلة ، كنت تشاهدين شروق الشمس بحزن ، كنت أراقبك متصفا إياك ، تمنيت لو أنني أستطيع قراءة أفكارك ، تمنيت لو أنك لا تحزنين يوما..

تسللت خيوط أشعة الشمس من النافذة ، فانعكست على عيناك ، فتحول لونهما إلى لون عسلي إشتهيته ، كنت جميلة .. جميلة بنعاسك و جواربك .. جميلة بتذمرك و كلامك كنت قاتلة بضحكتك ، أحسست أنني سأموت شوقا من بعدك ، كيف لي أن أواصل دون أن أسمعك و أنت تتكلمين دون توقف و تختمين كلامك دوما و أنت تقولين " أعلم أنني أتكلم كثيرا أعلم " ، لم أخبرك يوما كم هي جميلة ثرثرتك ،إنها ثرثرة حلوة معدية...

أنا شخص هادئ جدا ، لا أتكلم كثيرا ، لكنني وقعت في حبك أنت التي لا تسكتين ، أشعر أحيانا أنك جئت لتكلمي ما ينقصني لنكون شخصا واحدا كاملا ، تختلفين عني كثيرا ، تختلفين عني حتى كدت تشبهيني

تفصلنا ساعات قليلة عن الوصول ، لم أكن أريد النظر إلى الساعة لأنني خفت أن يفاجئني مرور الوقت ، كنا نغوص في نظرات دون أن نتكلم ، كنت أحاول أن أخبرك كم سأشتاق



إليك من خلال عيناى ، و كنت أرى هذا فى نظراتك أيضا ،  
حتى جاءنى صوتك لكن بنبرة مختلفة هذه المرة:

- أتعلم يا يزن ! يقال أن هناك أمور يستحيل على الإنسان  
نسيانها مهم كان طول الوقت الذى مر عليها ... أنت أحد هذه  
الأشياء!

- أتعلمين يا روان ! أنت الشيء الوحيد الذى يصعب على  
نسيانه!

و ختمنا حوارنا القصير ذاك بإبتسامة ، لن أستطيع يوما  
وصف شعورى فى تلك اللحظة ، أحسست أن كلماتك  
إحتضنتنى ، لكننى أحسست برعب يغمرنى فجأت عندما  
فكرت أن طريقنا سينفصلان عند وصولنا لمدينة مراكش ..  
أخرجت من حقيبتك حاملا للمفاتيح ، كان عبارة عن دب  
صغير أزرق ، و ناولتني إياه معلقة:

- خذ هذا ، أملك مثله ، لكن لونه زهري ، هكذا لأتأكد أنك لن  
تنساني يا شرير!

كدت أخبرك أننى لا أحتاج لشيء يذكرنى بك يا روان ، لأنك  
فجأة أصبحت أنت ذاكرتى ، أمسكته و أنا أبتسم ، شكرتك  
بخجل ، نال إعجابى كثيرا ، فى تلك اللحظة قررت أنى  
سأحتفظ به إلى الأبد ، ألصقته بمفاتيحى بفخر ، أحسست أنه

وسام تمنحيني إياه ، وسام الحب!

إنقضت الساعات المتبقية بسرعة ، ثم أطلق القطار صافرة الوصول ، نظرت إليك كأنني أترجى الوقت أن يتوقف ، أحسست بخنجر يخترق قلبي ، قلبي الذي أصبح ينبض بك يا روان ، سنبتعدين عني ما إن يتوقف القطار، سنفترق إلى أجل غير مسمى ، كيف لك أن تأتي و تذهبي بهذه السرعة ، كيف لك أن تمنحيني الحياة ثم تأخذين مني كل ذرة سعادة عند ذهابك ، كيف لي أن أستوعب أنني إلتقيتك ليوم واحد ثم ستذهبين ، في دواخلي كان صوت لا يريد الإستسلام ، صوت يرد الإحتفاظ بك إلى الأبد ، يحزنني بعدك يا روان ، فعلا يحزنني..

توقف القطار ، ساعدتك في حمل الحقيبة ، نزلنا بمشاعر متناقضة تماما مع المشاعر التي سعدنا بها على متن هذا القطار منذ ساعات ، وقفت مقابلا لك على الرصيف ، كانت الأصوات تعج من حولنا بشكل صاخب ، لكننا لم نعرلها إهتماما ، كنا ننظر إلى بعضنا البعض بلهفة ، كانت عينايا تلاحق كل تفاصيلك ، كأنني أحاول أن أحفظ صورتك في ذهني ، كنت صامتة .. هادئة .. و جميلة كالعادة ، طال الصمت و كأن لا أحد منا يريد أن ينطق كلمات الوداع ، الكلمات التي لا مفر منها هذه المرة ! لكنني بادرت بالكلام:

- لكل شيء جميل نهايته ، و هذه نهاية رحلتنا الجميلة ، سعيد  
لأنني حظيت بك كرفيقة في سفري ، سعيد بمعرفتك يا روان  
!

- سعدت أيضا بمرافقتك حقا ، كانت رحلة رائعة ، شكرا لك  
..

مددت يدك نحوي لتصافحيني:

- إلى اللقاء ، أتمنى لك التوفيق...

- شكرا ، أنت أيضا !

حملت حقيبتك و إستدرت بعيدا ، بقيت واقفا أتأملك حتى  
إختفيت وسط الحشود ، كانت أنفاسي تلاحقك ، و ثار الوداع  
بؤسا ، و صرخ القلب وجعا ، لم تكن بيدي حيلة هذه المرة إلا  
أن أراقب حب حياتي يبتعد عني بعيدا و أنا واقف مكتوف  
اليدين...

إستدرت لأجد صديقي خالد فاتحا يديه بسعادة لإستقبالي ،  
تذكرته عندما رأيته فقط ، أتعلمين أنني كنت قد نسيت أنه  
سيأتي لمقابلتي ، خالد يقطن بمراكش منذ سنتين ، يقول خالد  
أن أول شروط النسيان هو أن تبتعد عن كل مكان جمعك مع  
حبيبك ، إبتعدت عن القطار لكنني لم أستطع نسيانك يا روان

..

عانقتي بحرارة و هو يربت على كتفي ، أتعلمين يا روان ، خالد هو أجز أصدقائي ، يشبهك كثيرا ، يضحكني أحياناً دون حتى دون أن يتكلم ، أنا و خالد لا أسرار بيننا ، نتشارك تفاصيل حياتنا من دون تردد..

في طريقنا إلى منزله كنت صامتا و ليس كعادتي ، كنت أنظر إلى الطريق و إلى الناس لعني أجذك بينهم ، أنا و أنت الآن في نفس المدينة ، على نفس الأرض و تجمعنا سماء واحدة لكننا لا نلتقي ، أوجد ظلم أفسى من هذا ؟

إنتلني صوت خالد من بين افكاري:

– كيف كانت رحلتك ؟ إحكي يا شهربان ، أحس أنك تخفي عني شيئا ، ما المصيبة التي إرتكبتها و أنت في طريقك إلى هنا ؟ إحكي!

كدت أجب به أنني لم أرتكب شيئا غير أنني وقعت في الحب ، لكنني تحفظت عن ذلك يا روان ، لا أعلم لماذا ، و كأنني أردتك لي وحدي ، لم أرد أن يسألني خالد عن إسمك أو عن شكلك ، أردتك لي وحدي ، ثم إن الرواية التي حكيتها لي في الطريق أخافتني يا روان ، لم أخبرك بهذا ، لكنها فعلا أخافتني ، حيث أن البطلة وقعت في حب صديق البطل فقط لأنه تحدث عنه ، خفت أن يعجب بك خالد إن تحدثت عنك يا

روان، فإكتفيت بسرد تفاصيل مملة لم تتضمن شيئاً يخصك ،  
ثم تذكر خالد بعض مغامراتنا أثناء سفرنا ، ضحكنا معا لكنك  
لم تغيبني عن خيالي و لو للحظة ، كان جسدي حاضرا ، لكن  
روحي غابت عندما غبتي يا روان!

ذهبنا إلى مطعم وسط المدينة ، مطعم إعتدنا التردد إليه كلما  
تواجدنا معا بمراكش ، جلسنا إلى طاولة في الزاوية طلبنا  
طعامنا المعتاد و بدئنا في تبادل أطراف الحديث ، كان يحكي  
لي عن مغامراته كالعادة ، أصبح خالد شابا طائشا كأنه يعيش  
مراهقته من جديد ، غيره الجرح كثيرا ، أحيانا أحس أنه ينتقم  
من تلك التي تركته عن طريق فعل كل شيء كانت تنصحه  
ألا يفعله ، الفتيات ، السهر ، التدخين .. أصبح خالد يعيش  
يومه لينسى ، لكنني متأكد أنه لم يحدث أن نسي ، يحتاج إلى  
حب جديد و ليس إلى علاقات عابرة أخرى ، لكنني لم أتجراً  
يوما من إخباره ، تركته ليدرك ذلك لوحده.

جاء الطعام و أثناء تناولنا إياه لاحظت أن خالد قد سرح  
بنظره إتجاه فتاتان كانتا تجلسان في الطاولة المقابلة لنا ،  
فحاولت أن أشتت إنتباهه لكنه كان مركزا جدا كعادته ، نهض  
من مكانه و إتجه نحوهما و لم أستطع سمع ما دار بينهما من  
حوار إلا عندما رأيتهما يقومان من مكانهما و ينتجهان نحو  
طاولتنا ففهمت أن خالد طلب منهما الإنضمام إلينا ، غضبت

كثيرا من فعله ذاك ، مع العلم أنني لم أكن أمانع في السابق ،  
و كأن غيرتك ترافقني رغم بعدك عني ، و إستحضرت  
ملامحك الغاضبة فأحسست أن قلبي لا ينبض إلا بالوفاء  
إتجاهك يا روان ، جلست الفتاتان فتبادلنا التحية بشكل رسمي  
جدا حتى أني لم أبتسم ، و قبل أن يشرع خالد في تقديمي  
إليهما إستأذنت بالذهاب متحججا ببعض الأعمال ، رأيت  
الصدمة و الإحراج يرتسمان على وجه خالد لكنني لم أبالي ،  
خرجت من المطعم حتى دون أن أكمل طعامي ، لم أكن أعلم  
سبب تصرفي ذاك ، لكنني علمت أنني سأتصرف دوما كأنك  
موجودة يا روان ، سأعيش على أمل أن أراك مرة أخرى  
سأعيش على أمل أن أمتلكك إلى الأبد!

ذهبت أمشط شوارع مراكش سيرا على الأقدام ، كان الجو  
حارا جدا ، كنت أجوب الشوارع باحثا عنك ، في لحظة  
أحسست أنك حلم يا روان ، حلم راودني طوال الليلة السابقة ،  
شككت في وجودك ، أثناء ذلك أدخلت يدي إلى جيبتي  
فصادفت أصابعي الدب الأزرق الصغير الذي كان معلقا إلى  
مفاتيحي ، أخرجته و أنا أتأمله ، و الآن عزائي الوحيد هو دب  
صغير ينظر إلي مستهزئا ، كم أشفقت على نفسي في تلك  
اللحظة!

أثناء تفحصي لكل أزقة المدينة جاء صوت هاتفي ليخرجني

من إنفصالي عن العالم ، فتذكرت فجأة أنني نسيت أن أتصل بالمنزل لأطمئنهم عني ، جاءني صوت أختي الصغيرة أريج بشقاوته كالعادة:

- هل أنستك مراكش أحبابك بهذه السرعة سيد يزن ؟

- من أنت ؟ لم أعرفك ؟ عذرا أنت تتصلين بالرقم الخطأ يا صغيرة!

- تعلم جيدا أنني لا أحب أن تناديني بالصغيرة لكنك مصر على تعكير مزاجي كالعادة ، أنت تكبرني بست سنوات فقط كيف تكون كبيرا إذن ؟ خد أمي تريد أن تحادثك .. سلام يا سيد كبير!

- يزن ! كيف حالك يا إبني ؟ لقد شغلت بالي بعدم إتصالك .. أنت بخير ؟ كيف صحتك ؟ كيف كان سفرك ؟ طمني يا بني !

- أهلا بأمراد ، أنا بخير يا أمي ، كان رحلة مريحة ، أريدك أن ترتاحي و لا تشغلي بالك فأبنيك لم يعد صغيرا يا أمي!

أنهيت المكالمة بعد عدة نصائح من أمي ، تتكلم أمي بهدوء دوما ، لم أرها يوما ترفع صوتها ، في صوتها حنان لم أشهد مثله من قبل ، أريج تشبهها كثيرا ، أحس أحيانا أن أريج أمي

الصغيرة و إبنتي في نفس الوقت ، أحبها كثيرا ، رغم أنها كبرت و صارت شابة إلا أنني لازلت أراها طفلة تحتاج الرعاية و الحرص كما تحتاج للحنان و اللعب ، حافظت أريج على مكانتها كطفلة و هذا عائد إلى تصرفاتها ، فهي تتعلق بذراعي إن مررت من أمامها ، و تلعب بخصلات شعري إن جلست بجانبني ، أحبها كثيرا..

قبل ولادة أريج كنت أنا أصغر إخوتي ، مراد يكبرني بثلاث سنوات و تكبرني صبا بست ، كان مراد صديقي منذ الطفولة ، لم أكن أحس بفارق السن بيننا ، أنا و مراد نختلف كثيرا عن بعضنا البعض ، لكننا نتفق و نتفاهم ، و يلجئ بعضنا إلى بعض كثيرا ، طيب هو مراد ، رغم عصبيته و إنفعاله إلا أنه دائم الإبتسامة ، أختي صبا تشبهه كثيرا ، تضحك كثيرا و تتكلم كثيرا ، أظن أنها أكثر شخص ستفاهمين معه يا روان ، و بما أنني أصغرهم سنا فلم أحس يوما أن أحدا منهم تحت مسؤوليتي بل كنت دوما أنا مسؤولة الجميع ، أمي ، صبا ، و مراد ... كنت آخر العنقود ، لكنني لم أكن يوما مدللا ، حتى جاءت أريج ، كنت طفلا في السادسة من عمري عندما رأت عيناها النور ، المعروف أن الطفل يغار كثيرا عند ولادة طفل آخر في البيت ، فيتعامل معه كأنه عدو يريد أن ينتزع منه عرشه ، لكنني لم أحس أبدا بهذا ، كنت سعيدا جدا بقدم



أختي ، أحسست أنني كبرت فجأة عند قدومها ، كنت أعود مسرعا من المدرسة حتى أستطيع مجالستها و مداعبتها ، كنت أمسك بيديها الصغيرتين و هي متشبثة بيدي ، كنت أغني لها دون أن يسمعي أحد ، أظن أن أريج هي من جعلت رغبة الأبوة تكبر في دواخلي ، من خلالها أحببت الأطفال كثيرا ، و رغم السنوات إلا أنني لا زلت أراها طفلة..

كم هو موحش المكان بدونك يا روان ، أجوب الشوارع متفاديا التمعن في جمال مراكش ، و زاد جمال مراكش وجودك فيها ، أعلم أننا تحت سماء واحدة لكننا لا نلتقي ، كم هو موجه هذا الأمر، بداخلي أمل يصرخ أنني سأراك في أحد هذه الأزقة اليوم يا روان، لكن شعلة أمني بدأت تنطفئ مع غروب الشمس، جاء صوت هاتفي لينقذني من خيبيتي تلك ، كان خالد على الخط الآخر ، ذكرني صوته انه علي الرجوع إلى المنزل قصد أخذ قسط من الراحة ، فتفكيرى بك أنساني نفسي ، و نسيت كذلك أنه علي الإستعداد للسفر بعد يومين إلى الصحراء ، حيث ستبدأ مغامرة عملي هناك...

فتح لي خالد الباب و نظراته تعمها التساؤلات بعد ما تركته في المطعم لوحده مع تلك الفتيات، دخلت أجر خيبيتي ، جلست و خالد إلى طاولة العشاء ، حاولت أن أتاساك يا روان ، لكنني لم أستطع ، تكلمنا في أمور عديدة إلى أنني كنت أربطك مع

كل موضوع نتحدث فيه ، ها أنا أجلس مع صديقي الذي جعلتني حالته أخره الحب في الماضي ، هاهو الآن و قد شفي من كل جرح بينما أصبت أنا بكل الجروح ، كم هو غريب هذا الحب ، يغير ما بحالك بين ليلة و ضحاها ، كأنه أمر محتوم يستحيل الهرب منه..

و على غير عادتي ذهبت إلى غرفتي في وقت مبكر ، إستلقيت على ظهري و أنا معلق عيناى بإتجاه السقف ، تلك وضعية أتخذها عندما أكون مشغول البال ، حاولت أن أفكر في عدة أشياء لعلي أنساك لبعض الوقت ، تذكرت أول قدوم لي لمدينة مراكش ، كان هذا منذ سنتين ، كنت رفقة خالد بكلية الآداب ، كان يريد أن يسجل بشعبة الإنجليزية نظرا لأن لغته الإنجليزية جيدة ، فلم يكن يريد البقاء بمراكش دون الإنتساب لإحدى الجامعات ، كنا نجوب المكان محاولين العثور على مصلحة شؤون الطلبة حتى يستطيع الإستشارة حول ما يخصه للتسجيل ، كان علينا أن نسأل أحد الطلبة ، إلى أن لمحت عيناى إحدى الفتيات اللواتي كنت أراهن بمدينتي ، أراها كثيرا بالمدينة لكن ما الذي تفعله هنا بمراكش ؟ أيعقل أنني لم أحدثها أبدا بالمدينة و نلتقي صدفة بمدينة تبعد كل البعد عن مدينتنا الأصل ، دون أن أستأذن خالد إتجهت نحوها بخطى واثقة حتى أسألها ، قرأت الإرتباك في عينيها

ما إن إقتربت منها ، أكانت تراني هي الأخرى في المدينة؟:

- مرحبا ! كيف حالك ؟

- أهلا بخير و أنت ؟

- الحمد لله ، من فضلك كنت أود أن أسأل عن مكان مصلحة شؤون الطلبة ، أيمكنك أن تدليني عليها ؟

- طبعا ، أنا أيضا متجهة إلى هناك يمكنك مرافقتي إن أردت

ناديت خالد و أخبرته بالأمر ، ثم اتجهنا برفقتها ، كلمها خالد في الطريق حيث انه كان منتبها هو الآخر من لهجتها الشرقية ، و الحقيقة أنني لم أكن مهتما بمعرفة الكثير عنها ، بل لم أكن أنوي أن أوطد صلتني بها ، بدأت أسئلة خالد بالتراتب كالعادة ، فقد أصبح يتقنها من كثرة إعادتها:

- أرى من لهجتك أنك لست من مراكش ! لا ؟

- نعم لست من هنا ، لقد التحقت بمراكش مؤخرا ، أنا من وجدة!

- نحن أيضا من وجدة ، بهذا تكونين قد أجبت عن سؤالي ، كنت أتساءل أين يمكن أنني لمحتك ، أنا خالد ، و هذا يزن .. و أنت ؟

- تشرفت بمعرفتكما .. أنا إسراء..

كنت أراقب الحوار بصمت ، كنت معجبا بطريقة خالد لإستخراج المعلومات ، كان عليه أن ينضم إلى المخابرات ، كان الفتاة هادئة في أجوبتها ، لم تكن تبتسم ، كنت صامتا إلى أن توجهت إلينا بالكلام:

- أنتما طالبين بالجامعة أيضا ؟

أجابها خالد بحماس!

- أنا أريد ان أسجل بشعبة الدراسات الإنجليزية ، أما يزن فيدرس بمدينة مكناس حاليا!

- إنها سنتي الأولى أيضا بشعبة الدراسات الإنجليزية ، أظن أننا سنكون زملاء.

انتهينا من الإجراءات ، ساعدتنا إسراء كثيرا لفهم بعد الأمور ، و أخذتنا في جولة للتعرف على الجامعة ، كانت تقطن مع والديها ، جاءت إلى مراكش لأن والدها انتقل إلى العمل هنا ، تبادلنا أطراف الحديث نحن الثلاثة ، كان يجمعنا حبنا للغة الانجليزية ، كان هذا القاسم المشترك بيننا ، تعددت لقاءاتنا بها أثناء وجودي بمراكش ، أظن أننا أصبحنا أصدقاء لمجرد أننا من نفس المدينة و نحب نفس اللغة ، خالد كعادته لا يصادق الفتيات إلا إذا كانت ستجمعه بهم علاقة غرامية ، لكن الامر مختلف مع إسراء هذه المرة ، فلم تكن من ذاك

النوع ، كان يكلمها لأنها زميلته بالجامعة ، اما انا فكنت اود أن أكتشفها أكثر ، أصبحت أهتم بمعرفتها ، انقضت عطلتي و كان علي الرجوع إلى مكناس ، تبادلنا أرقام هواتفنا ، و حساباتنا على موقع التواصل الإجتماعي "فايسبوك " ، عند رجوعي إلى مكناس صرنا نتكلم كثيرا ، نتواصل بالساعات ، نتكلم في عدة مواضيع ، كنا نختلف كثيرا لكن نرجع لثقتي في نقطة واحدة ، كانت خجولة و لا تتكلم كثيرا إلا إذا تكلمت انا ، كانت تقول أنها تحادثني لأنها تشتاق لوجدة ، و أنها اشتاقت للهجتنا ، كنت أسايرها في هذا ن بالرغم ان التجاذب بيننا كان واضح.

بعد مرور أشهر بدأ منحي علاقتنا يتغير ، أظن أننا تعودنا على بعضنا البعض ، أو يمكن أننا وقعنا في حب بعضنا البعض ، في كل عطلة كنت أذهب إلى مراكش لرؤيتها ، كنا نخرج ثلاثتنا ، لم يكن يعلم خالد بعلاقتنا في البداية لذلك كان دائم التواجد معنا ، لم أكن أغار عليها من خالد و لا من أصدقائها الآخرين ، كنت أحبها حبا هادئا لا تشوبه عواصف الغيرة و الحيرة و الإشتياق ، كان حبي لها بسيطا كبساطة علاقتنا ، أظن أنها كانت تحبني بنفس الطريقة ، علم خالد بعلاقتنا عن طريق الصدفة فيما بعد لكنه لم يبدي اهتماما للأمر ، مرت سنة كاملة على علاقتنا ، لم أفكر يوما أننا

سنصمد كل هذه المدة ، كانت قد كثرت نزاعاتنا في الآونة الأخيرة ، لم نكن نتفاهم على أي شيء ، كانت تغلق الهاتف لأيام و أغلقه لأسابيع ، أصبحت علاقتنا مملة ، متعبة ، جارحة ، ادركت ان تفاهمنا في البداية ما كان سوى ان كلانا لم يكن مهتما بإبداء وجهة نظره في أي موضوع ، كنا نحاول مجاملة بعضنا البعض فقط ، ما أصعب أن يصبح الحب مملا ، نفس المواضيع نفس الخناقات نفس الأيام ... كبرت متطلبات اسراء و تضائل صبري أنا الآخر ، أخذ منا الحب الكثير ، أخذ من الصبر و الوفاء و الإشتياق ... أخذ منا الكرامة و المتعة و الراحة ، يصبح الحب متعبا جدا عندما يصل إلى هذه المرحلة و تصبح متأكدا أنه لن يعود يوما كسابق عهده ، لأنه ببساطة لم يكن يوما مثاليا كما كان يظهر عليه .. انقضت السنة و افترقنا ، أصبحت إسراء صفحة في كتاب حياتي ، أتذكرها كلما وطأت قدمي مراکش ، لكنني لم أتذكرها هذه المرة لأن تفكيري كله كان يصبو نحوك ، مرت سنة على فراقنا ، سنة لم نتكلم فيها انا و إسراء .

نفكر في الحاضر لنهرب من الماضي ، لكنني وجدت نفسي أفكر في الماضي لأهرب من حاضري ، حاضري الذي هو أنت يا روان ، ماذا تراك تفعلين الآن ؟ أتهربين من حاضرك أنت الأخرى ؟ كيف هو ماضيك يا روان ؟ هل أحببت من

قبل ؟ هل عشت قصة مستحيلة ؟ أتعلمين أمرا ! أريد أن أعرف عنك كل شيء .. إلا ما يخص قلبك ، لا أريد ان أعرف شيئا عنه ، أريد أن أكون أول من يسكن قلبك ، أول من يعجب بعينيك ، أريد أن أكون الأول في كل شيء ، أريد أن أمتلك منذ الأزل و إلى الأبد .. فهل أطلب الكثير ؟

أصبحت واقعي الآن ، واقعي الذي لا أستطيع الهرب منه ، حبك يحيطني من كل الجوانب ، قبل ساعات كنت سبب راحتى و سعادتي و ها أنت الآن سبب أرقى و أعقاب سجائري ، كنت ظننت انى اقلعت عن التدخين ، إلا انى وجدت نفسي أعود إليه من جديد ، يمكننا الإقلاع عن العادات السيئة مهم كان عمق إيماننا عليها ، لكنك لست بشيء سيء و رغم ما يلحقه غيابك بروحي و قلبي إلا أننى لا اريد الإقلاع عنك ، حتى و إن نخر بعدك صدري ، أنت شيء حقيقي في حياتى الزائفة ، و لن اسمح بأن تصبى حلما فقط .. سأحارب من أجلك حتى و لو كلفنى ذلك الكثير..

أتذكر جيدا أننى لم أستطع النوم تلك الليلة ، بل بقيت مستيقضا أفكر و أقلب صفحات الماضى لعننى أجد فيها ملجأ ينسينى ابتسامتك ، فكرت كثيرا في موعد سفري إلى الجنوب الذى اقترب ، لم أكن أفكر فيه كحلم كما كنت أفعل سابقا بل بدا لي ككابوس لأنه سيبعدني عن مكان تواجدك ، سأبتعد عن

وجهتنا يا روان ، سأبتعد لمدة طويلة عن مكان تجمعنا فيه  
 سماء واحدة ، متى سيجمعنا القدر مرة اخرى ؟ هل يمكنه أن  
 يغفلنا و يبعدها إلى الأبد ؟ أه كم تخيفني هذه الفكرة و أه كم  
 هي واردة ..

جاء طرق الباب لينقذني من نوبة الذعر التي كنت أغوص  
 فيها ، عندها فقط تذكرت أنني لا زلت في بيت خالد ، دخل  
 خالد مبتسما كعادته:

- صباح الخير يا عريس ! كيف كان نومك ؟

- صباح النور ، الحمد لله..

- الفطور جاهز ، و بعدها سنخرج قبل سفرك ، اشتقت  
 لأيامنا..

هزرت رأسي موافقا و انا أبتسم ، فطرنا معا و خرجنا ، كان  
 يوما يشبه كثيرا الأيام الخوالي ، إلا أنني في الماضي لم أكن  
 مثقلا بشيء يعصر قلبي كما هو الآن ، أتعلمين يا روان أنني  
 طول وجودي بالخارج مع خالد كنت أبحث عنك كمجنون بين  
 المارة لعني أجلك ، كان بحثي عنك كمن يبحث عن إبرة  
 وسط كومة قش..

أثناء تواجدنا بأحد المطاعم الشعبية لمحت شابان يتقدمان  
 نحونا ، لم أكن مركزا في البداية ، إلا أنني وقفت فور



معرفتي أنهما عماد و حسام ، صديقي أيام الدراسة ، فتحت ذراعي مُرحِّبًا ، الله كم اشتقت لهاذين المجنونين ، ارتمى علي عماد فضحكنا كالمراهقين ، و جاء دور حسام ، عرفتهما على خالد الذي كان واقفا يبتسم لرؤية ابتسامتي أخيرا ، جلسنا و بدئنا بتبادل أخبارنا ، و طبعاً بدأ عماد في إطلاق الدعابات كالعادة ، كانت أصوات ضحكائنا تملأ المكان ، غريب أمري ، أصبح كمجنون عند لقائي بهم ، فيهم طاقة تجعلني أضحك بإستمرار ، تذكرنا أيام الدراسة ، ضحكنا كثيرا ، حسام و عماد كانا يرافقاني في كل مكان ، بل حتى في النوم كنا نشترك في نفس الغرفة ، حسام يقطن في شمال البلاد ، و عماد ابن مدينتي ، إلا انني لا أقابله أبدا في المدينة ، لأنه دائم السفر ، سافرت بنا الذاكرة إلى ثلاث سنوات قبل هذا اللقاء ...

سأروي لك يا روان ما حصل تلك السنة ، لأن ما حصل له دور كبير في عدة تغيرات أصابت حياتي ، كانت سنتنا الثانية بالجامعة ، نجحنا نحن أربعتنا بمعدلات جيدة ، أتستغربين لما قلت أربعة و نحن فقط ثلاثة ؟ منذ ثلاث سنوات فقط كنا اربعة أصدقاء ، أنا ، عماد ، حسام و عمر ، علمني عمر الكثير ، كان يتيم الأبوين ، و له اخت توأم سلمى، هما فقط ، كان يدرس و يقطن بمكناس ، لكن أخته كانت تتواجد بفاس

عند خالتها ، كانت تدرس هناك ، كانت تجمعها بأخته صداقة قوية ، نظرا إلى أن والديهما توفيا و تركاهما في سن صغير جدا ، ما كان يثير إعجابي في عمر انه كان دائم الإبتسامة ، متفائل جدا .. في آخر تلك السنة دعانا حسام إلى قضاء أيام الصيف عندهم بالمزرعة التي كان يملكها والده بمدينة تطوان ، رحبنا بالفكرة كثيرا ، و اتفقنا أن كل منا سيذهب للقاء أهله ثم بعد اسبوعين نتفق على تفاصيل الرحلة ، رجعت إلى مدينة وجدة أنا و عماد ، و ذهب عمر إلى بيت خالته بفاس ، و غادر حسام إلى تطوان على أمل اللقاء بنا بعد اسبوعين ، مر الوقت بسرعة و حان وقت الرحيل ، توجهنا انا و عماد إلى تطوان ، وجدنا حسام و عمر في انتظارنا ، كانت أول زيارة لي لمدينة تطوان ، و علي ان اعترف لك يا روان أنها من أجمل ما رأيت ، كم أتمنى أن أصطحبك إلى هناك يوما ، كان مرشدنا السياحي حسام طبعاً ، جينا أزقة المدينة ، أكلنا ، و بعدها توجهنا إلى المزرعة ، كان مدخلها أشبه بمدخل القصور ، فقط في تلك اللحظة أدركنا كم كان حسام غنيا إلا انه لم يخبرنا يوما عن ذلك ، كانت مزرعة تشبه الأحلام ، حقول من الفواكه المختلفة ، زهور من كل الأنواع ، كنت أجوب المكان بعيناي غير مصدق لما أراه ، و كان حسام يبتسم بخجل و هو يعرفنا على كل زاوية بالمزرعة ، حتى وصلنا إلى مكان عرفته ما إن رأيت ، كان اسطبلا يا روان ،

و آه لا تعلمين كم أحب الأحصنة ، كان جدي يملك واحدا ،  
وعلمي كيف أمتطيه ، ذهبت مسرعا نحو المدخل ، كان  
بالداخل كثير من الأحصنة إلا أنه ثار انتباهي حصان أسود  
سواد الليل ، كان حصانا عربيا أصيلا ، وقعت في غرامه ما  
إن رأيت ، نسيت تعب سفري و اشتهيت امتطاءه ، لكن  
خجلت طلب ذلك من حسام لأننا وصلنا للتو ، ثم ذهبنا إلى  
المنزل الموجود بالمزرعة ، كان منزلا جميلا شاسعا ، رغم  
شساعته إلا أننا قررنا أن نبقى في غرفة واحدة ، حتى نتمكن  
من السهر بجنون كما كنا نعمل سابقا ، ففي الليل نصاب  
بجنون الضحك يا روان ، لا يمكنك ان تتخيلي ما يصيب  
عماد عندما يحين وقت نومه ، يضحكنا ذاك المجنون كثيرا ،  
بل أحتاج لأن انظر إليه فقط لأنفجر ضاحكا ، كانت ليلتنا  
الأولى ممتعة ، إلى أننا نمنا باكرا بسبب التعب ، و في الغد  
ذهبنا لإمتطاء الأحصنة ، كانت أيامنا أجمل من أن تصفها  
الكلمات يا روان ، لم نكن نبتعد عن المزرعة إلا لجلب  
الحاجيات الضرورية ، كنا نمضي أجمل الأوقات ، عماد كان  
كالطفل الذي يفرحه المخيم كثيرا ، كانت سعادته فائقة ، أما  
عمر فكان قلق بشأن أخته كثيرا ، فلطالما فصلته عنها بضع  
كيلومترات فقط لكن الآن هو بعيد عنها بعدة مدن ، كان  
يهاتفها دوما ، حسام كان يمر بمرحلة جديدة ، كان يتكلم في  
الهاتف كثيرا و لكن ليس أمامنا ، كان يغلق الخط دوما عند

قدومنا ، كنا نحس انه يعيش قصة حب و لا يريد إخبارنا و لم نشأ إزعاجه بالاسئلة ، إلا ان عماد كعادته لم يوقف عن مضايقته طبعاً لإستخراج المعلومات ، آه و كم انت فضولي يا عماد ...

في احدى الليالي كنا نلعب الورق أنا و عماد و عمر ، وكان حسام يعد العشاء تاركاً هاتفه على الطاولة أمامنا ، رن هاتفه و رفعه عمر عن الطاولة ثم نادى حسام إلا أنه لم يسمعه في المرة الأولى و قبل أن يناديه للمرة الثانية وقعت عيناى على شاشة هاتف حسام المضاءة ، كان الرقم المتصل مصحوباً بإسم ، "سلمى" ، رفعت عيناى لأرى الدم يتصاعد إلى وجه عمر ، لم أستدرك وقتها لما شعر عمر بكل ذلك الغضب إلى ان تذكرت أن اسم أخته هو سلمى ، لم أظهر له أنني منتبه له ، فقد شعرت بطعنة في صدري أنا الآخر ، جاء حسام بعدما ناداه عماد ، فأخذ الهاتف من عمر دون أن يعلق و دخل للغرفة المجاورة و أغلق الباب ، توقف عمر عن اللعب و أمسك هاتفه و ادخل رقماً ، إلا انه اعلق الهاتف في ذات اللحظة .. اظن انه وجد الرقم مغلقاً او .. مشغولاً!

كنت اشعر بما يشعر به عمر ، المسكين لا يعرف ماذا يفعل و كيف يفكر ، أيعقل أن تكون أخته تحادث حسام ؟ أحسست بوخزة في قلبي ما إن تخيلت أن إسم أريج هو من ظهر على

الشاشة .. كنت سأقتل حسام في تلك اللحظة

تعشينا ، ثم حضرنا فيلما معا ، إلا أنني أحسست بأن عمر غائب عنا تماما ، عندما حان وقت النوم تقلبت في فراشي كثيرا إلا أنه لم يغمض لي جفن ، جلست مستقيما و نظرت حولي ، كان عماد مستلقي على الأرض بشكل مضحك ، كان حسام يغط في نوم عميق ، تأملته و كأنني أبحث في تقاسيم وجهه عن جواب ، إلا أنني لم أجد سوى الصمت ، بحثت عن عمر إلا أنني لم أجده في مكانه ، نظرت عبر النافذة فرأيتة يجلس القرفصاء بجانب الحقل ، أكيد أن أمر حسام يشغل باله ، ترددت في الذهاب إليه ، إلا أنني قررت أخيرا أن أذهب و أسأله عن سبب سهره ، هذا صديقي عمر ، صديقي الذي كان يسهر معي في أيام أرقى أيعقل أن أتركه هكذا .. مستحيل!

- عمر ! ما الذي جعلك تستفيق في هذه الساعة ؟

- لم أنم أصلا حتى أستفيق ، و أنت ما الذي جعلت تستيقظ الآن ؟

- إنه شخير عماد فليكن الله بعون زوجته المستقبلية..

كنت أحاول تلطيف الجو إلا أن عمر لم يبتسم بل ظل يحذق في الظلام .. كنت جالس بقربه بنفس الطريقة التي جلست بها

أمام خالد ليلة فاجعته ، بعد صمت طويل انطلق صوت عمر  
:

- هل حسام في علاقة الآن ؟

ترددت في البداية إلا انني تماكنت نفسي و حاولت الا يحس  
بشيء في نبرتي:

- لا أعرف ، أنت تعلم جيدا أنه لا يحكي لنا عن حياته  
العاطفية ، يختلف عن عماد الذي كلما قابل فتاة جاء يخبرنا  
بلهفة..

- خير له ان لا يخبرني .. و إلا لكنت..

قالها بغضب ثم صمت ، أخافتني نبرته ، ثم سألته و أنا أحرق  
بعينيه

..

- ما الذي تقصده يا عمر ؟

نظر إلي مطولا كأنه يترجاني لقراءة ما بعينيه .. ثم قال  
بلهجة حزينة..

- ألسنت أقرب أصدقائي يا يزن ؟

- نعم أنا كذلك ... ماذا هناك ؟ أخبرني..

- لطالما كنت بئر أسراري ، و ملجأى عند وحدتي ، لكن الأمر أكبر من أن أخبرك إياه بهذه السهولة ، أحس أنني سأنفجر ... أريد أن يوقضني أحد من الكابوس الذي أعيشه..

- مهما كانت ضخامة الأمر ، سنصل معا إلى حل يا صديقي ، ألسنت أنت من علمني أن لكل شيء حل ؟ أخبرني بما يجوب في خاطرك يا صديقي ..

- حسنا سأخبرك .. منذ شهر كنت أود أن اتصل بخالتي من هاتف سلمى أختي ، إلا أنني ادخلت رقم حسام بالخطأ لأنني لم أكن مركزا ، و لأنني أتصل به كثيرا ، فأأحفظ رقمه و يخطر ببالي كلما حاولت الإتصام بشخص آخر ، و لم أكن منتبها إلا عندما ضغطت على زر الإتصال فظهر لي اسم حسام على الشاشة و قطعت الإتصال فورا و أنا غير مصدق ، لما رقم حسام مسجل في هاتف أختي ؟ و عندما سألتها إرتبكت و أخبرتني أنها تحتفظ للطوارئ ، في حالة كان هاتفي مغلق .. حاولت تصديق عذرها لأنني لم أشئ أن أصدق غير ذلك ... و البارحة رأيت اسمها يضاء في شاشة هاتف حسام ، هذا الامر أوقف تفكيري يا يزن ...

- يمكن لها ان تكون صدفة يا عمر ، إن بعد الظن إثم .. حسام صديقنا ، و يستحيل أن يستغفلك في شيء كهذا .. و أنت من ربي سلمى يا عمر ، أرجوك لا تتسرع...

- هذا ما يقتلني يا يزن .. أنه صديقي ، لكنني سأقتله إن كان ما أفكر به صحيح ، سأقتله يا يزن..

- استعذ بالله يا عمر ... استعذ بالله!

- منذ يومين دخلت المطبخ و كان حسام يتكلم في الهاتف ما إن رأني أغلق الخط و ظهر عليه التوتر ..

- لكل حادث حديث ، الآن هذه مجرد صدف و تخيلات ، نعم جيدا أن حسام يستحيل أن يفعل شيئا كهذا ، تعال لخد إلى النوم ، سنتكلم في الصباح!

ذهبنا فأوينا إلى أسرتنا ، لا أظن أن عمر استطاع النوم ، أنا كذلك لم يغمض لي جفن ، كل أصابع الإتهام تشير إلى حسام ، كيف لك ان تفعل هذا يا حسام ؟ الم تجد الا أخت صديقنا ، لم أجد له عذرا أن ذاك يا روان ، إلا أنني أجده له الآن عندما أحببتك .. فالحب لا يملك عقلا!

في الصباح كان عماد يضحك بصوت عال و يتحرك كطفل و يغني ، إلا انه عبث مع الشخص الخطأ حينها ، ذهب ليداعب عمر ، إلا أن عمر كان يبحث عن سبب يجعله يثور في وجه أحدهم ، دفع عماد بعيدا ثم أنهال عليه بالشتائم ، بقي عماد المسكين واقفا مكانه مذعورا .. ثم تدخل حسام:

- عمر !! ما بك ؟



- انت بالذات لا تكلمني..

ثم أخذ مفاتيح سيارته و رطم الباب خلفه بقوة ، حاول حسام أن يتبعه إلا أنني منعتة ، لأنني أعلم جيدا ما سيقع إن التقى هاذان الإثنين، خرج عمر و ترك زوبعة من الحيرة تقصف بكل من كان متواجدا...

مرت ساعات و لم يعد عمر ، أظن انني كنت الوحيد الذي ينتظره ، حاولت ان اتصل به إلا أن هاتفه كان مغلقا ، بدأ القلق يساور حسام و عماد ايضا ، أين انت يا عمر ؟ خرجنا للبحث عنه في الأرجاء ، لكن بدون فائدة..

نام حسام و عماد ، إلا أنني بقيت مستيقضا أحاول الإتصال به ، لكن بدون جدوى ، استولى علي الخوف ، في الصباح سمعت طرقا قويا على الباب ، طرق أيقظ عماد من نومه الثقيل العميق ، استيقظ حسام مفزوعا و ذهب لفتح الباب ، سرنا خلفه مفزوعين ، عند فتحه للباب كان ثلاثة من رجال الشرطة خلف الباب ، وقفت محاولا استيعاب ما يحصل ، لما الشرطة هنا ؟ سألنا أحدهم:

- أهنا كان يقطن عمر زيدان مؤخرا ؟

أجابه حسام مفزوعا:

- نعم هنا ، اين هو ؟ اهو معكم ؟

- تعرض صديقكم لحادث البارحة..

صرخت انا:

- أين ؟ كيف ؟ و أين هو الآن ؟

صمت الشرطي قليلا ثم أجابنا الشرطي الآخر:

- للأسف ، لم ينجو ! كان يسير بسرعة فائقة ، و أيضا كان تحت تأثير الكحول ، أتينا لنعلمكم بوفاته حتى نتم إجراءات الوفاة ، عليكم إخبار عائلته ..

ذهبو و تركونا في صدمة ، انهار عماد باكيا و هو يردد:

- أنا السبب أنا السبب ، ما كان علي أن أمازه فهو لا يحب المزاح الثقيل ، أنا السبب أنا!

كان حسام يستند على الحائط واضعا كلتا يديه على وجهه ، و يبكي بصمت ، أما أنا فبقيت أصرخ حتى خارت كل قواي ، أتعلمين يا روان ! كان فقدان عمر من أصعب ما مررت به ، عمر هذا كان صديق عمري ، صديقي الذي كان البارحة يجلس بجانبني ، صديقي ..

أخبر حسام عائلة عمر بأمر وفاته ، توجهنا بعدها بجثمانه إلى مدينة فاس حيث دفن هناك ، بعد انتهاء الجنازة توجه كل منا إلى بيته ، اتعلمين انني لم اخبر احدا بالحوار الذي دار

بيني و بين عمر في الليلة التي تسبق وفاته ؟ نعم يا روان لم أفعل ، فليومنا هذا لا زال يظن عماد أن مزاحه هو سبب وفاة عمر .. هذا أفضل من أن يعيش حسام و سلمى تعيسين بسبب أن حبهما قتل أقرب شخص لهما ، بعد وفاة عمر بسنة .. تزوج حسام و سلمى .. إذن كان شكك في محله يا صديقي ، رحمك الله!

أخيرا انتبهت إلى صوت عماد الذي كان يقص الحكاية بدوره على خالد ، حزن خالد كثيرا ، ثم التفت إلى حسام:

- كيف حالك أنت و سلمى ؟ كيف هو الزواج أخبرني!

- الحمد لله ، رزقنا بطفل مؤخرا .. أسميته عمر!

الحب يقتل و يحيي يا روان ، فرحت كثيرا عند سماعي بخبر طفل حسام ، لكنني حزنت على نهاية صديقي عمر ، و تستمر الحياة ..

صمتنا قليلا ثم سألتني عماد:

- كما تعلم يا صديقي .. لا زلت فضوليا ما الذي جاء بك إلى مراکش ؟

- ههه لن تتغير ، أنتظر بعض الإجراءات ، و بعدها سأسافر إلى الجنوب ، سأعمل هناك ..

صرخ عماد:

- صحيح؟ أنا أيضا متجه إلى هناك لن تتخلص مني ابدا ..  
سنذهب معا إذن!

قضينا وقتا ممتعا معا ، لكنك لم تغيبي لحظة عن خيالي يا  
روان ، كنت أظن ان الملل و الوحدة هما من كانا يجعلاني  
أشتاق إليك لحد الجنون ، لكنني كنت مخطئاً ، ما أنت فاعلة  
الآن ؟ سؤال لا أنفك أنساه حتى يتبادر إلى ذهني من جديد..

مع حلول الليل افترقنا ، عانقت حسام بقوة .. كأنني أعتذر من  
ظني نحوه ، الآن فقط أصبحت أحترم كل من وقع في الحب  
و بأي طريقة ، لن ألومه يوما و لن ألوم أبدا أي إنسان وقع  
في الحب .. عانقت عماد فأطلق ضحكة و هو يقول:

- ما بك يا سيد رومانسي؟ ما هي إلا يومان و سنسافر معا  
على مثن نفس الحافلة وفر مشاعرك إلى وقت آخر!

ضحكنا معا على كلام عماد و طريقته ، لكن كلامه ذكرني  
بشيء واحد .. بك يا روان ، بعد يومين سأذهب بعيدا ، و  
وارد ألا استطيع رؤيتك مرة اخرى ، و هذه فكرة تخنقني..

تبادلنا أرقام هواتفنا، اتجهنا أنا و خالد إلى البيت ، و ذهب  
حسام و عماد في سبيلهما ، سعيد أنا بتواجدهما مع بعضهما  
البعض ، كنا دوما نقول أننا لن نفترق يوما ، و ها هو القدر

يجمعنا من جديد و يجمع عمر الصغير بنا ، فهل سيجمعني  
القدر بك من جديد يا روان ؟

قضيت اليومان المتبقيان في النوم و في التجول في المدينة  
لعلني المحك ، لكن بدون فائدة ، لكن لن أفقد الأمل ، متأكد أنا  
بأنني سأجدك ، لكن متأكد أنني لن أراك قريباً ..

حانت ساعة رحيلي ، حزمت حقائبي ، عانقت خالد بحرارة  
لم يعهد لها مني من قبل ، كنت كالطفل أحتاج لأن أطمئن ، من  
اي شخص .. كنت سأنفجر و اشكو له ما يخالج صدري ،  
لكنني كبت مشاعري في آخر لحظة ، أوصلني خالد إلى  
محطة الحافلات ، كان عماد في انتظاري ، سعدنا إلى  
الحافلة ، و بدأت الرحلة ، الرحلة التي كنت أنتظرها منذ  
سنوات ، رحلة العمر .. التي ستبعدي عنك لا أعلم إلى متى  
أشتاق اليك منذ الآن يا روان...

كانت رحلة ممتعة و طويلة شيئاً ما، ضحكنا كثيراً .. لكن مع  
اقتراب وصولنا اشتدت جدبتنا، وصلنا .. كان المكان مألوفاً  
جداً، كأنني رأيته في احلامي يوماً ما، لكنني ما عدت أتذكره،  
لا يشبه مكاناً زرته من قبل، لكنني احببته .. يكفي انه يوجد  
في صحراءنا المغربية...

تعرفت على زملاء عمل كثر، لكنني ظللت الأزم عمادا معظم

الوقت، انقضت ستة اشهر ، لا أفعل فيها شيئاً غير أنني انهك نفسي في العمل، أنام باكراً و استيقظ باكراً ، وصار الصمت هوايتي، حتى عماد لم اعد أسهر معه، ماذا اصابني فجأة؟ اكنت احاول الهروب من ذكرياتك؟ أكنت أنتقم من نفسي ومن قلبي الذي أحبّك؟ نعم يا رَوان، إنقضت ستة اشهر ولا زلت في كل يوم افكر فيك أكثر، كل يوم أحبك أكثر .. بدأ هذا الحب يتعبني فعلا .. لكنني لا أريد ان اتوقف الآن ! لا أريد ان استسلم .. اريدك و كفى!

بعد انقضاء ست اشهر حصلت على عطلة، لا أنكر انني كنت مشتاقا إلى مدينتي كثيرا، بل أكاد أموت شوقا لها، كنت مشتاقا لأمي و لأريج .. لصبا و مراد ، لأبي و صراخه الدائم، تعجبت عندما وجدت نفسي اشتاق لأشياء كنت أكرهها ، كنت مشتاقا لك يا رَوان ، سأعود إلى مدينتنا ، سأنظر إلى كل زاوية فيها و أفكر انك ربما مررت من هنا .. كانت رحلتي إلى وجدة طويلة جدا، تذكرت كيف كانت الرحلة قصيرة عندما كنت بجانبني، لا شيء أجمل من أن تتواجدني معي يا رَوان ، و كالعادة لم يكن احد بانتظاري في محطة القطار، بعد نزولي من القطار ركبت سيارة أجرة وتوجهت إلى المنزل، وهناك .. كان الجميع في انتظاري، أمي ، أبي ، أريج و صبا، وطبعاً مراد وسامي ووفاء، كنت سعيداً

بتواجدهم، ما إن رأيتي أمي حتى انهالت دموعها، كانت  
الدموع تملأ عيناى و أنا أمنعها من الإنطلاق، و فى هذا  
الوقت جاء صوت أريج:

– ما بك يا سيد يزن؟ تخجل من البكاء أمامنا، آه نسيت أنك  
الآن أصبحت شخصية مرموقة.

ضحكنا و طاردتها كعادتي و أنا أداعبها ، شقية أريج هذه ..  
فى المساء علمت أن هناك عريس تقدم لخطبة صبا، فوافقت  
طبعاً بعد موافقة أبى، و علمت أيضاً بأن العرس سيكون بعد  
سبعة أشهر ، فى الغد حضر العريس برفقة والديه وشقيقته،  
ألقيت التحية وجلست أتبادل أطراف الحديث مع العريس،  
علمت آنذاك أن اسمه سليمان، وأنه مدير لإحدى المدارس  
الإبتدائية الخاصة، إرتحت كثيراً عندما علمت أنه مثقف وهو  
فعلاً شخص طيب، أعجبت به، وصرت مطمئناً على اختى،  
كانت سهرة عائلية تم فيها التعرف أكثر على عائلة العريس ..

فى الغد كنت جالسا أقلب قنوات التلفاز، فجاءت أمى وجلست  
بجانبى و بدأت تداعب خصلات شعري بحنان كما كانت  
تفعل دائماً .. و قالت:

– أنت مرتاح يا بنى؟

– الحمد لله يا أمى، لما السؤال؟

- مراد اخوك يكبرك بثلاث سنوات فقط .. و هو الآن متزوج  
و أب لطفل ايضا ! و صبا ستتزوج قريبا ، متى افرح بك و  
بأبناءك ؟

تعجبت من كلامها فهي لم تسبق أن فاتحتني في مثل هذا  
الموضوع ، اجبتها مبتسما و أنا اقبل يدها:

- أتريدين ان تتخلصي مني يا أم مراد أم ماذا ؟ ههه ألا ترين  
انني لا زلت صغيرا على هذا الكلام!

- أنت في الرابعة والعشرين من عمرك، إنه الوقت المناسب  
للزواج ، أريد أن اطمئن عليك يا ولدي!

أردت الهروب من محاولتها ، فقلت ضاحكا:

- حسنا عندما أجد العروس سأتزوج يا أمي..

- العروس موجودة ننتظر فقط موافقتك..

وقفت مصدوما من كلامها.

- ماذا قالت امي للتو؟ تنتظر فقط موافقتي؟ أنا في حلم ام  
ماذا؟

- ألسنت أنت من كنت تقول دوما أريد من أمي ان تختار لي  
شريكة حياتي! ها قد فعلت. ولن اقبل بالرفض، إلى متى  
ستبقى وحيدا..



كنت قد نسيت تماما انني كنت دوما أقول أن على أمي اختيار العروس لي، قدومك يا روان أنساني عدة اشياء ، و ها أنا في ورطة حقيقية الآن ، أجبته باستسلام:

- حسنا أمي ، من هي العروس ؟

- هدى .. شقيقة سليمان ، لن تجد اجمل و أرقى منها ، إنها مثالية لك يا يزن!

لم تكن تعرف أمي انني لا أريد الأجل او الأروع ، بل أريد روان فقط ، كانت نظرات أمي تخترقني، فأنا لم أغضبها يوما، و لم أرفض لها طلب ، وحتى إن رفضت هذا الطلب ، فما المبرر الذي سأقدمه ؟

- حسنا يا غالية، دعيني أفكر في الأمر أرجوك!

- حسنا يا بني ، و لا تنسى انه يستحيل أن اختار لك ما يضرك ..

نهضت أمي و تركتني في زوبعة من الأفكار ، كنت اعيش حلما مؤخرا ، لكنني اصطدمت بواقع جديد ، واقع مرعب ، ما أنا فاعل الآن !؟

في تلك الليلة آويت إلى فراشي و أنا افكر وأخاطب نفسي كالمجنون ، أيعقل أنني أفكر فيك يا روان و بل أحبك وأنا لا

أعلم أين أنت وماذا تفعلين وهل سأراك ثانية؟ أيعقل أن أعيش مع هذا الحلم و أنا أعلم أنه لن يتحقق؟ هل علي أن أنساك وأواصل حياتي؟ ولكن كيف؟ سؤال يأخذني و آخر يردني ..

منذ أشهر كنت أتعامل مع حبك بصعوبة ، لكن على الأقل لم أكن مضطرا للاختيار بين حبك و بين شيء آخر ، لكن ها أنا الآن في ورطة .. هل علي ان أستسلم لواقعي و أتجرد من كل شيء يجمعني بك ؟ ما هذا الضرب من الجنون الذي يجمعني بك يا روان؟ أيفعل يوم واحد كل هذا ؟ لا أستطيع التخلص من حبك الآن .. أعلم أنه يستحيل علي فعل ذلك ... لكن سأحاول ، نعم سأحاول!

في الغد اخبرت أمي أنني أريد ان أتعرف على الفتاة أولا، ثم سأقرر إن كنت سأرتبط بها أم لا ، فرحت أمي بالخبر كثيرا، لكن انقباض صدري لم يزل بعد ذلك ، فجأة تذكرت نظرتك الغيورة لي عندما كنا في القطار، تذكرت كيف تضايقت من الفتيات اللواتي كن يرافقنا في السفر، وأيضا تذكرت أنك بعيدة عني منذ ستة أشهر و لا أعلم ما الجديد في حياتك .. بل وجدت نفسي لا اعلم شيئا عن حياتك ، لن استمر في كبح نفسي، بل سأحاول ألا أعرقل مسيرة حياتي، هكذا هي الأمور، فلطالما كنت أزن الأمور بعقلي ، ما الذي يجعلني الآن أتبع هذا القلب المجنون !

بعدها بساعات ذهبت لفتح حسابي على الفايسبوك، فقد مر وقت طويل لم أفتح فيه حسابي، و كعادتي سرت أكتب اسمك في الخانة المخصصة للبحث ، بالرغم أنني لا أعلم اسمك الكامل ، لكنها اصبحت هوايتي منذ زمن ، أكتب اسمك الشخصي وأنتظر من النتائج الظهور ، لعلي أرى صورتك أو شيئاً يدلني إليك ، لكن ما من فائدة ... أثناء هذا رأيت أريج تتقدم نحوي، و هي تبتسم ابتساماتها الشقية التي تدفعني إلى الضحك دوماً:

- ماذا هناك يا أريج ؟ ما سر هذه الإبتسامة الشريرة ؟

- أخبرتني أمي أنك تريد ان تتعرف على العروس .. أقصد تريد ان تتعرف على هدى!

- ههه ألا يوجد قليل من الخصوصية في هذا المنزل ؟

- لا أبدا ! المهم أنا هنا للمساعدة فقط، خذ هذا حساب هدى على الفايسبوك و هذا رقمها!

ناولتني الورقة و استدارت و هي تبتسم و تلعب بخصلات شعرها ... صرت انظر إلى الورقة و انا أبتسم ، ستة اشهر وأنا ابحت عن خيط يصلني بك يا روان ، و ها انا الآن احصل على كل الطرق التي تؤدي إلى فتاة لا تربطني بها أية صلة ، هكذا هي الحياة ، متى ستتنصفي هذه الحياة ..

وأحصل عليك يا روان؟ نعم لا زلت أفكر فيك .. ولن أتوقف !

أدخلت رقم هدى إلى هاتفي ! و أضفتها إلى قائمة أصدقائي ، بعد ساعة وصلني إشعار بأنها قبلت طلب الصداقة ، بدأنا الحديث بشكل عادي ، كما يتم في أغلب الأحيان بين من يتحدثون لأول مرة ، لكنه لم يكن أبدا كحديثي الأول معك يا روان ، لا أكف عن المقارنة بينك و بين كل الفتيات ، تتخلفين عنهن كليا ، من أي طينة أنت يا روان ؟ تحدثت معها بشكل عادي ما يقارب الساعة ثم استأذنت منها متحججا بالنوم .. كالعادة سريري هو ملجأني عندما أريد التفكير مليا .. او اتخاذ قرار حاسم !

أتعلمين ماذا قررت يا روان ؟ ... قررت أنني لا أريد سواك ، اكتفيت بك لحد الجنون ، أتعلمين أمرا ؟ طوال فترة حديثي مع هدى لم أكن أحس إلا بشيء واحد .. تأنيب الضمير ، كأنني أخونك ، كأنني أجرحك ، كنت أستشعر مراقبتك لي ، و أنا أتخيل الغضب و الحزن يرتسمان على وجهك ليرسما صورة طفل يقارب على البكاء !

طوال الأيام التالية كنت أحاول الهروب من أمي و نظراتها ، و كنت أعلم أن سكوتها لا يعني أنها نسيت موضوع الزواج ذاك ، لكن في الأخير استطعت أن أقنعها أنني سأتزوج عندما

يحين الوقت ، و تذرعت بالحالة المادية كعذر ، أخبرتها أنني في بداية الطريق و الزواج التزام لن اقدر عليه حاليا ، أظن أنها اقتنعت بكلامي ، على الأقل خلال هذه الفترة...

خلال تلك الأيام سعدت كثيرا لأن مراد سينتقل للعيش معنا ، و خصوصا أنني كونت صداقة مثينة مع سامي ، عجيب هذا الطفل ، أحبه كثيرا ، أنا و مراد يجمعنا شبه كبير ، سامي يشبه مراد كثيرا ، كنت أنظر إلى ملامحه و أتخيل أن أرزق بابن مثله ، لكن أريده ان يحمل عينيك يا روان ، آه كم اشتقت إلى تلك العينان ! كنت أسهر لأحكي لسامي القصص ، أتعلمين أي قصص يا روان ؟ إنها القصص التي كنت تروينها للطفل ادم ، حفظتها عن ظهر قلب ، كنت أحس بأنني قريب منك عندما أرويها ، بل كانت علاقتي بسامي تقربني منك أيضا ، لأنني أعلم كم تعشقين الأطفال ، كنت أعشقهم أيضا ، لكن من خالك عشقتهم بدل العشق عشقين..

انقضت أيام عطلتي بسرعة ، و لم يبقى سوى ثلاثة أيام و أعود ادراجي ، خلال تواجدي بالمنزل لم أكن أقابل مراد كثيرا ، بل كان مشغولا بأمور إنتقاله ، كنت أقضي معظم وقتي بالبيت مع أريج و سامي ! أمي و صبا كانتا مشغولتان بالتحضير للعرس ، يقال "فرح ليلة تدبيره عام! "

في مساء يوم الأحد جاء مراد حاملا في يده ملفا برتقاليا ، :

- يزن ! أنت مشغول غدا ؟

- لا لست كذلك ! لما ؟

- هل يمكنك اصطحاب سامي غدا الى مدرسة الجديدة .. لا أملك وقتا لذلك ، أريد منك تسجيله ، إن لم تكن تمنع أخي ؟

- طبعا ، لا امانع البتة ، هذا من دواعي سروري ، اترك لي أوراق تسجيله و سأتكلف بالباقي!

- شكرا لك يزن ، هاهي الأوراق !

- حسنا ، اخبرني بإسم المدرسة ، و عنوانها!

في الصباح استيقضت باكرا على غير عادتي ، وجدت سامي مستعدا بنشاط و هو في انتظاري ، تناولنا إفطارنا معا ، و أخذت مفاتيح سيارة أبي و انطلقنا ...

وصلنا الى المدرسة ، في المدخل كتب بخط عريض زهري " مدرسة الأمل " ، كانت فعلا تبتث الأمل في النفوس ، تزينها الزهور من كل الجهات ، كنت أمسك بيد سامي و أسير بخطى بطيئة ، كان سامي أيضا سعيد بمدرسته الجديدة .. سألت احد الحراس:

- مرحبا ، من فضلك أين يمكن أن أجد مكتب المدير ؟

- تقصد المديرية ! انه في أقصى اليمين هناك ! يمكنك أن

تنتظرها هناك ، ستأتي بعد لحظات..

- شكرا لك!

ذهبنا لمكتب المديرية ، كان مكتبا متواضعا يناقض فخامة المدرسة ، لفت انتباهي رفوف الكتب الموجودة فيه ، جميعها لعلم الإجتماع أو علم النفس ، أه يا روان ستطاردني ذكرياتك هنا ايضا ، كان سامي أيضا يجول بعينيه في المكان ، اثناء ذلك وقعت عيناى على شيء ، احرزوا ما هو ؟ حامل للمفاتيح ، و هو عبارة عن دب زهري ، أتعلمون أمرا ؟ انه يشبه كثيرا الدب الذي احتفظ به ، أتذكرون ؟ نعم إنه نفس الدب الصغير الذي أهدتني إياه روان ، ما هذه الصدفة ؟ تذكرت فجأة أن روان قد أخبرتني أنها تملك واحدا زهري اللون ، ما كدت اجمع أفكارى حتى التقط أنفى رائحة متأكد انها رائحة يستحيل علي ان اخطئ تخمينها ، إلتفت بنفس الطريقة التي التفت بها عندما شممت هذا العطر لأول مرة ، لكن هذه المرة بلهفة و شوق ، كنت واقفة هناك ، أمامي مباشرة ، كما كنت تقفين في باب المقصورة في القطار ، لم تتغيري ، تغير لباسك قليلا ، كأنك كبرت ، كنت ترتدين لباسا رسميا ، محتشما ، وقفت أطارذك بعيناى ، كنت تنتظرين إلي بالهفة و الدهشة نفسها ، لا اعلم كم من الوقت بقينا على ذاك الحال ، إلى أن لاحظت أن نظرك بقي يطالع سامي بدهشة ،

ثم رجعت تطالعيني ، لكن بقسوة هذه المرة ... و ببرود قلت  
و انت تتوجهين إلى المكتب ، الذي علمت لاحقا انه .. مكتبك  
:

– مرحبا بكما ، انا مديرة المدرسة، بما يمكنني أن أخدمك  
سيدي ؟

أقالت مديرة للتو ؟ روان صغیرتي مديرة مدرسة ؟ بما  
أخدمك سيدي ؟ فل يخبرني أحد بما يجري هنا ؟! أفقدت  
الذاكرة يا روان ؟ هذا أنا يزن...

ناولتها الملف و أنا أقول:

– جننا من أجل التسجيل ... سيدتي!

– حسنا ، هل لي ببطاقة تعريفك الوطنية سيدي ؟

اعطيتها بطاقتي و سارت تحقق بها و بملف سامي في نفس  
الوقت ، كانت ملامحها تتحول و أحمر وجهها بشكل ملفت ،  
ماذا يحصل ؟ أه !! هي تظن أن سامي ابني ، فمع تشابه  
أسماءنا .. هو يشبهني كثيرا!

– إذن .. سيد يزن هذا ابنك ؟

ابتسمت ابتسامة تعرفها روان جيدا ثم أجبتها:

– نعم ابني ، تزوجت خلال السبع شهور الماضية و انجبت



طفلا عمره ست سنوات!

كادت تنفجر ضاحكة ، إلا انها منعت نفسها ، اظن ان الضحك بصوت عالٍ لا يليق بمديرة مدرسة ، توجهت بالكلام لسامي هذه المرة:

- صغيري يمكنك ان تخرج حتى تتعرف على ارجاء المدرسة ، اطلب من عمو الياس ان يرافقك ، و سيبقى والدك هنا لإتمام إجراءات تسجيلك!

اجابها سامي:

- من هو عمو إلياس ؟

- إنه الرجل المسؤول عن الأمن الذي صادفته عند دخولك مع والدك!

- حسنا انا ذاهب..

ثم التفت إليك و قال:

- هذا ليس أبي ، انه عمي!

احسست ببسمة انتصار اعتلت شفيتها ، ما إن خرج سامي من الباب حتى التقت عينانا بشكل عجيب ، سألتها بعدها:

- ألسنت صغيرة على منصب المديرية ؟

- إنه عملي المؤقت فقط..

- مؤقت ! كيف ذلك ؟

- هذه مدرسة ابي ، و هو الآن مسافر ، فوكل لي امر الإدارة ، بما انني اجيد التعامل مع الأطفال في نظره..

- و ترسلين دوما الأطفال إلى الخارج عند اول قدوم لهم إلى هنا ؟

- لا ليس دائما ، إلا إذا كنت اريد قتل اعمامهم!

- ههه هكذا إذن ! لماذا تريدني قتلي ؟

سكنتت هي و زادت ضربات قلبي انا .. ثم خرجت الحروف من شفيتها ، بعفوية كعادتها

- أين كنت كل هذا الوقت ؟

- أين كنت انت يا روان!

- يزن .. اظنني..

لم تكمل الجملة فصوت سامي قاطعنا ، كان يريد الذهاب إلى المنزل ، بحكم ان الدراسة تستأنف غدا .. وقفت من مكاني و انا أودع روان ، ما إن وصلت إلى باب المكتب حتى عدت بسرعت إليها و ناولتها هاتفني و انا اقول:

.. لقد كنت غيبا مرة ، و لن اكون كذلك للمرة الثانية..

ابتسمت و هي تسجل رقمها ، ثم قالت بصوت خافت متحاشية  
ان يسمعنا سامي:

.. انتظر اتصالك ... اليوم!

تركتها خلفي لكن كنت متاكدا انني سأجدها هذه المرة ،  
خرجت حاملا في صدري كل معاني السعادة و الفرح ، كانت  
فرحتي عارمة لدرجة انها فاقت فرحتي عندما نلت شهادة  
البكالوريا ههه هذه الجملة الشهيرة لروان عندما تكون سعيدة  
لدرجة كبيرة ، قدت السيارة إلى البيت و انا اردد الأغاني مع  
سامي ، كانت فرحتي لا توصف ، و أخيرا وجدتك يا روان ،  
يا ترى ماذا كنت تودين القول قبل أن يقاطعنا سامي ؟  
سأعرف منك هذا عندما اتصل بك ...

دخلت إلى البيت و أنا أحس ان الجميع يطالعونني ، أيعقل ان  
تكون الفرحة ظاهرة علي إلى هذا الحد ؟ أم أنني أتخيل فقط ؟  
شكرني مراد كثيرا على الخدمة التي أسديتها له عندما سجلت  
سامي ، لكنني كنت سأرتمي نحوه و أعانقه و أشكره لأنه كان  
السبب في لقائي بروان، يا الله كم أنا سعيد الآن ، و أخيرا  
أحس بالحياة من جديد! ..

تذكرت انه يفضل لي يوم الغد فقط ثم سأذهب في اليوم التالي

إلى الجنوب من جديد ، انتظرتك سبعة اشهر لأحصل عليك ليوم واحد يا روان ، و هل ستقبلين بتمضية اليوم معي ؟ لا اعلم ! بدأت الأفكار تتضارب في رأسي لتسبب لي صداعا حادا لم يفارقني كلما فكرت بك ، ذهبت إلى سريري و امسكت هاتفي و ضربات قلبي تتزايد ، سأتصل بك يا روان ، سأسمع صوتك .. ضغطت على زر الإتصال ما إن رأيت إسمك .. رن الهاتف للحظات ثم جاء ذاك الصوت الذي يمزق وريدي شوقا:

- ألو!

- روان ؟

- يزن كيف حالك ؟

- كيف عرفت انه انا ؟

- لا اعرف ، ربما لأنني انتظر اتصالك منذ الصباح..

تسارع الدم إلى كل اطرافي و عم الصمت بيننا ، لكنني لن اصمت كثيرا هذه المرة ، اجبتها بإندفاع:

- روان سأسافر بعد يومين ، اريد ان اراك !

- بعد يومين؟! إلى اين يا سندباد ؟ الا تستقر في مكان ؟

- سأذهب إلى العمل في الجنوب كما اخبرتك سابقا ، يا

## بطالية!

- انت تكلم مديرة مدرسة الآن ، أحسن انتقاء كلماتك يا سيد..

- و إن لم افعل ؟ ماذا ستفعلين ؟

- امم .. أقل ما يمكنني فعله في حقك هو مجلس تأديبي مؤبد .. ثم سنرى بعدها!

انفجرنا ضاحكين ، أه يا روان كم اشتقت لنزاعاتنا الخفيفة ، اشتقت لضحكك هذه التي تبث الحياة في روعي ، اشتقت لكل شيء جمعني بك!

- إذن يا مديرة ! هل يمكنني أن أراك غدا ؟

- سأخبرك هذه الليلة بقراري ، اتفقنا ؟

- أمرك معاليك !

تكلمنا قليلا و أقفلنا الخط لأنك كنت في العمل ، و كانت أريج كل دقيقة تأتي إلى غرفتي بحجة انها تنظفها ، أه على هذه الفضولية الصغيرة ، إلا انني لم أغضب منها ، لأن فرحتي بك يا روان كانت تفوق أي شعور آخر ، بل قتلت في كل المشاعر!

حاولت أن أشغل نفسي كثيرا و أنا أنتظر الليل ، لكنك لم تفارقي خيالي و طبعا لم أفارق هاتفي ، كنت أنظر إليه كل

بُرْهَةٌ..

بعد انتظار طويل و تفكير أطول أخذت سيارة أبي و اتجهت خارج المدينة ، إلى نفس المكان الذي تواجدت فيه مع خالد منذ سنوات ، أوقفت السيارة ، و خرجت منها ، أخرجت من جيبي علبة سجائر و بدأت أدخن بهدوء و كأنني أحرق ما تبقى لي من صبر ، إلى أن رن هاتفي و كانت النغمة التي خصصتها لرقمك ، لا أعلم لما أطفئت السجارة بتوتر كأنك ترينني ، ابتسمت لردة فعلي تلك ثم أخذت الهاتف بيد ترتعش ، و أجبتك:

- مرحبا روان!

- اهلا يزن ، أسفة إن كنت قد جعلتك تنتظر قليلا!

- قليلا ؟ انتظرتك كثيرا يا روان ، سبعة اشهر من الإنتظار ... و تسمينها "قليلا"؟

- كنت اظن انني المنتظرة الوحيدة!

كانت لحظات صمت قاتلة بيننا ، احسست فيها ان العالم كله توقف لييجل تلك اللحظة التي نطقت فيها روان بتلك الجملة ، إذن كنت تنتظيرنني ، انا الذي كنت مرتعبا من فكرة نسيانك اياي ، أه يا روان و كم كنت احتاج لسماع هذا منك ..

- يزن ! انت معي ؟
- نعم روان انا هنا!
- إذن اخبرني متى و اين نلتقي غدا ؟
- حددي انت المكان و الزمان سموك !
- حسنا ، أريد ان نلتقي في الثامنة صباحا هل هذا ممكن ؟
- اكيد ، أين ؟
- سأخبرك عند اتصالي بك صباح يوم الغد ، اتفقنا ؟
- حسنا ، سأكون بانتظار اتصالك..
- حسنا ، الآن علينا النوم باكرا ، حتى نستطيع الإستيقاظ غدا ..
- معك حق ، بالرغم انني لن استطيع النوم .. لكن سأحاول!
- انا ايضا .. سأحاول ! تصبح على خير..
- تصبحين على خير احلام سعيدة..
- يزن ... ! سعيدة بعودتك.
- و انقطع الخط ، احب خجلك الممزوج بجرأتك ، احب خفة دمك الممزوجة بجديتك ، طفولتك و افكارك التي تفوق سنك

بكثير ، احب كل شيء اجتمع فيك يا روان ، و احببتك اكثر بعد هذه الليلة ، ما يجمعنا يستحيل ان ينتهي يوما ، ليس حبا فقط ، بل نحن نكمل بعضنا البعض لنكون شخصا واحدا متكاملًا..

ذهبت إلى المنزل و البسمة لم تفارق شففتاي ، و هناك امر لم اخبرك به سابقا ، في تلك الليلة سجلت مكالمتك و عاودت الإستماع إليها الليل بطوله ، آه يا روان لو تعلمين ماذا يصيبني من خلال صوتك ... يمكنني الإستماع إليك بدون توقف ، و لن امل ابدا!

كانت ليلة بيضاء ، لم انم فيها ابدا ، كنت افكر فيك و في ملامحك و اللحظات التي جمعتنا على مثلن القطار ، كن أفكر في الأشهر السبع التي مرت بدونك .. و ايضا فكرت في انني سأراك ليوم واحد ثم سنفترق إلى اجل غير مسمى!

كنت أفكر و أفكر حتى سمعت صوت المؤذن ، نهضت و توضأت ثم صليت الفجر ، و دعوت الله ان يجمعني بك يا روان .. و كم هو جميل ان تحب شخصا يقربك من الله و ليس العكس .. غفوت قليلا ثم صحوت على صوت هاتفي .. و تحديدا على النعمة المخصصة لأميرتي: ..

- صباح الخير يا شرير!



- صباح النور يا سليطة اللسان!

- أتعلم اين يقع المنتزه العاب الأطفال؟

- نعم اعلم!

- إذن نلتقي هناك .. سلام

ابتسمت و انا ابعد الهاتف ، ما هذه المجنونة ، تريد ان نلتقي في منتزه للأطفال في اول لقاء لنا ، عجيبة روان هذه ، لكنني احبها ، فعلا اعشقها!

قبل الموعد ب 15 دقيقة كنت في المكان المخصص للقاء ، كان احد ايام الدراسة ، إذن لم يكن يتواجد احد هناك ، كان المكان شبه مهجور ، لكن يحوي الوانا كثيرة و العابا ايقضت في نفسي الكثير الكثير من الطفولة التي كانت راكدة بداخلي ، بعد لحظات اقبلت تلك الأميرة نحوي ، مدت يدها لتصافحني بكل عفوية و رقة..

كان يوما خياليا ، ضحكنا و تكلمنا كثيرا ، و ايضا جربنا كل الألعاب ، لم اتوقع يوما ان موعدا رومانسيا في مكان كهذا سيكون الأروع ، انقضى النهار بسرعة ، لم احس ابدا بالوقت

..

في لحظة وداعنا وقفت انظر إليها و الحزن يملأ عينيها:

- سأشتاق إليك يا شقية!

- سأشتاق إليك أيضا يا شرير .. متى تعود ؟

- بعد ثلاث أشهر ..

- أليست كثيرة ؟

- نعم إنها كذلك ، لكن ما بيدي حيلة .. و يمكن ان ينقطع  
الإتصال بيننا خلال هذه الأشهر نظرا للظروف الجغرافيا  
التي سأنتقل للعمل فيها!

- لكن لن ينقطع الأمل اليس كذلك ؟

- ابدأ لن ينقطع .. استنتظريني ؟

- دوما!

افترقنا بعد بضع كلمات و نظرات .. لا أكثر ! كنت خائفا من  
ضياعها من يداي ، كنت ارتعد خوفا و انا امشي مبتعدا عنها  
، سأبتعد عن صغيرتي لثلاث اشهر ، و من الوارد الا نتكلم  
خلال هذه الأشهر ، استنتظرنى روان ؟ أم انها ستستسلم ؟  
أمل الا تفعل!

في الغد حزمت حقائبي و اتجهت نحو محطة القطار ..  
كالعادة الرصيف مليئاً بأناس يلوحون مودعين او مستقبليين ،  
و هذا الرصيف هو خالٍ بالنسبة لي ، انطلق القطار ، و لم

تكن الرحلة طويلة ابدا ، بل كانت كأول مرة ، سريعة و جميلة ، اتعلمون لماذا ؟ لأنني كنت اكلم اميرتي طوال مدة السفر ، روان لم تنم بل رافقتني طول هذه المدة ...

بعد وصولي إلى مكان عملي الجديد ، اكتشفت انه ليس هناك شبكة اتصال هناك ، وانقطع الإتصال بيننا ، نعم .. انقطع الإتصال لثلاث اشهر ، كنت فيها كالمجنون ، افكر في روان على مدار الساعة ، بدأت احس انها فقدت الأمل ، فما الذي يجعلها تنتظر هذا الغريب الذي لا تعرف عنه إلا القليل .. هذ الغريب الذي لم يعترف لها بحبه بعد ...

مرت الثلاث اشهر الجحيمية ببطء شديد ، وحن موعد العودة ، كانت رحلة ممزوجة بكل المشاعر .. كنت سعيدا ، خائفا ، متوترا ، و الأكثر من هذا كنت عاشقا متلهفا لرؤية حبيبتي التي وعدتني انها ستنتظرنني ، و كانت واضحة في وعدها ، أه يا روان و كم وضوحك غامض .. مع اقتراب القطار لمدينة وجدة بدأت تتسارع دقائق قلبي .. توقف القطار و تراجلت منه وسط حشود من الناس ... كان الرصيف مكتظا ، و كان هناك شخص يلوح لي بابتسامة ... ابتسامة أثلجت صدري .. اتعلمون من كان في إنتظاري ؟ ... نعم ! إنها أميرتي روان!

... يتبع









